الْمَعَايِيرُ النَّصِّيَّةُ

فِي سُورَةِ نُوحٍ عليه السلام

تأليف

د / أحمد عيد عبد الفتاح حسن

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بالقاهرة

جامعة الأزهر

١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

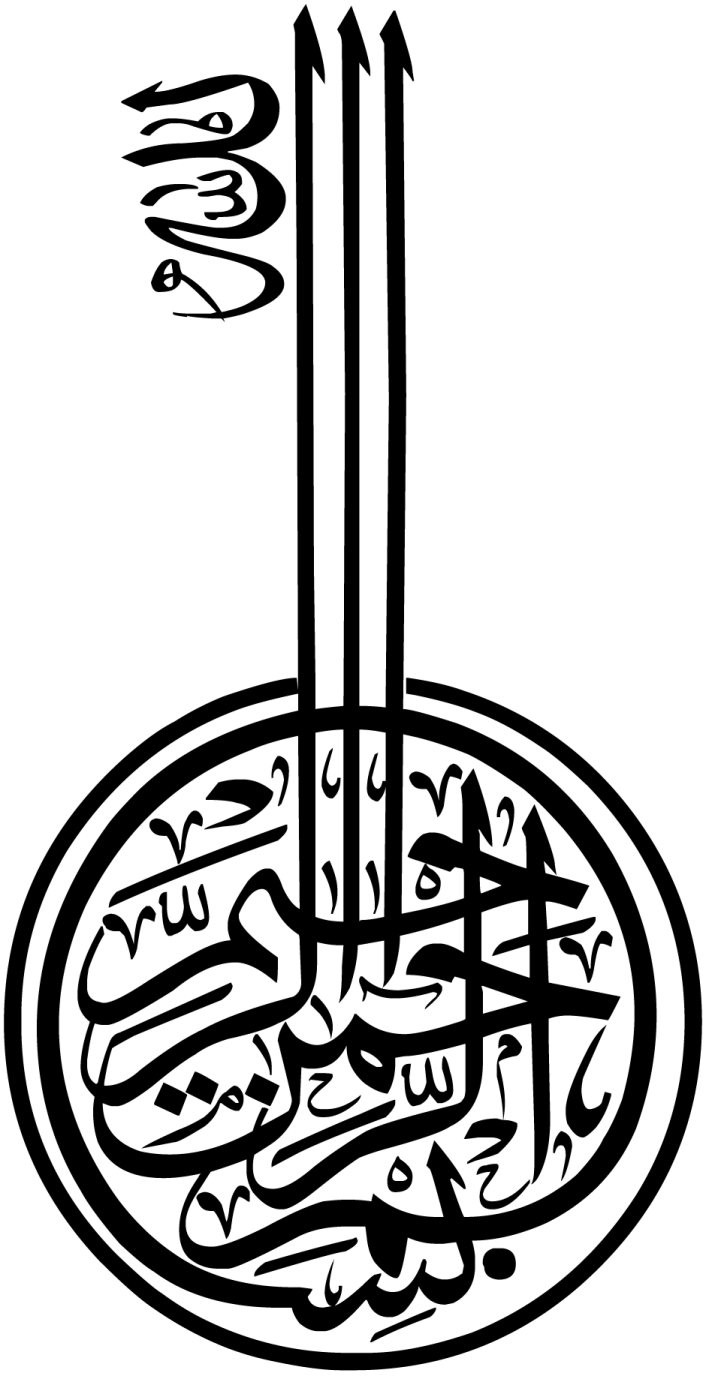

المقدمة

الحمد لله ﷻ ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، وبعد ...

فإنَّ للعربية أسرارًا كُثْرى ، ودقائق جُلَّى ، يقف على قَدْرٍ منها كلُّ باحثٍ حَصيفٍ في بنيتيها : السطحية والعميقة ، حين يستجلبه من نصوصها الفصيحة الرفيعة استجلابًا ، ليس على مستوى الجملة فقط ، بل على مستوى الجملةِ والنص ؛ لأنَّ الوقوف في نَشْدِ تلك الأسرارِ والدقائق عند حدودِ الجملةِ فقط إجحافٌ بها ، وتقليلٌ لشأنها ، والانطلاق في فضاء النَّصِّ لنَشْدِها إكبارٌ لها ، وإعلاءٌ لشأنها ؛ ففيه اجتذابٌ لأوجهِ الجمال ، واستدعاءٌ لآياتِ الجلال ، ومعرفةٌ بوسائلِ السبك ، واستلهامٌ لعلاقاتِ الحبك .

وإنَّ القيامَ بالواجبِ علينا تجاه لغتنا الشريفة لا يتِم إلا من جهةٍ قراءة تراثها قراءةً واعيةً ، عاقبتُها قتلُ القديم فهمًا ، وغايتُها الانطلاق نحو مرحلة التجديد في الطرح بطريقةٍ تُلائم عقولَ أبناءِ العصر ، والتعرف على النظريات اللغوية ، والمذاهب النحوية الحديثة ، والاستفادة من طيِّبها ، والتنبيه على سيِّئها ؛ لأنَّ أكثر المعروضِ على السَّاحة الحداثية من موضوعاتٍ موجودٌ في لغتنا التي لا تخلق أسرارها ، ولا تنتهي عجائبها ، ومنتزعٌ منها انتزاعًا ، فقد كان حاضرًا في ذهن علمائنا القدامى ، وجرى على ألسنتهم ، وبَدَا في كتبهم الأصول ، ومن يَمَّمَ وجهه شَطْرَها أقرَّ بفضلِ السبق لأصحابها .

وإنَّ إحْجَامَ بعض اللغويِّين المعاصرين عن متابعة المستجداتِ على الساحةِ اللغويَّةِ لينطوي على إساءةٍ بالغةٍ للفنِّ العزيز الذي ينتمون إليه

، ويُصِرُّونَ على تقديمه لطلاب العربية بالطريقة نفسها ، التي كان يُقدم بها في عصر كتابته .

فبإهمالهم التفاعل مع المستجدات انتفع أربابُ الحداثة ، فأبرز أكثرهم جهد علمائنا السابقين ، وسمَّوه بأسماء أخرى ، ونسبوه لأنفسهم علمًا جديدًا ، كَأَنْ ليس له أصول قام عليها ، أو جذور تشعب منها . ونَدَرَ من يقول لهم : هذه بضاعتنا ردت إلينا ، وما تتباهون به من نظريات امتدادٌ لما هو ثابتٌ فيها ، وحركةٌ طبيعيةٌ لا تتوقفُ في تلك اللغةِ الحكيمةِ التي يُعَدّ النَّصُّ فيها كائنًا حيًّا ، له جسدٌ وروحٌ ، فجسده الصورة اللغوية الموافقة للقواعد ، وروحه الدلالة المنسجمة المتلاحمة .

وفي حقيقةِ الأمرِ ما من نَظَرِيَّةٍ لُغَوِيَّةٍ أُشِيدَ بها وأُعْلِنَت إلا ولها في تراثنا اللغوي معالم ، وفي لغتنا الشريفة وجودٌ ، ولكنَّها تحتاجُ إلى مُمْعِنٍ للنظر ، ومُدَقِّقٍ في الأمر ، وقَدِيرٍ على نَصِّها أمام الباحثين .

وقد حَرِصْتُ في هذا البحثِ على إظهارِ سبق علمائنا القدامى إلى تلك الممارسات النَّصِّيَّة ، حين تناولوا سُوَرَ الذكر الحكيم بالتحليل والتأويل ؛ فكانت المعايير النصية حاضرةً في كتبهم ، جليَّةً في تطبيقاتهم .

فانتصيتُ من سور القرآن الكريم سورة نوح عليه السلام ؛ لتكون محلاً لإبراز تلك المعايير ، وللوقوف على أهمية تلك الممارسات النصية في الكشف عن مواطن الجلال والروعة في نصوصنا الراقية الرفيعة .

وجاء تناولي هذا – بعد التمهيد الذي كشف ماهية النص – في أربعة معايير تتفق مع قدسية النص المعجز :

المعيار الأول : الموقف (أو الموقفية) .

المعيار الثاني : القصد (أو القصدية) .

المعيار الثالث : السبك (أو الاتساق أو الربط) .

المعيار الرابع : الحبك (أو الانسجام أو الالتحام) .

وتلت ذلك خاتمة ، فيها أهم النتائج التي ترتبت على تلــك المقــدمات ، ففهرس بأهم المصادر والمراجع .

والله ﷻ أسأل هدايةً ورشادًا ، وتوفيقًا وسدادًا ، وعونًا وإخلاصًا ، وهو حسبي.

*****

*

التمهيد

(ماهِيَّةُ النَّصِّ)

النص عند العرب :

في اللغة : " النُّونُ وَالصَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى رَفْعٍ وَارْتِفَاعٍ وَانْتِهَاءٍ فِي الشَّيْءِ . مِنْهُ قَوْلُهُمْ : نَصَّ الْحَدِيثَ إِلَى فُلانٍ : رَفَعَهُ إِلَيْهِ . وَالنَّصُّ فِي السَّيْرِ أَرْفَعُهُ ... وَنَصُّ كُلِّ شَيْءٍ : مُنْتَهَاهُ "[1] .

ففِعله من الثلاثيّ المضعف المتعدِّي ، وهو من باب (فَعَلَ يَفْعُلُ) بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع ، مثل : (رَدَّ عليٌّ السَّائلَ يَرُدُّهُ) ، فتقول : (نَصَصْتُ الْحَدِيثَ أَنُصُّهُ نَصًّا) ، وتقول : (نَصَّ النِّسَاءُ الْعَرُوسَ يَنْصُصْنَهَا نَصًّا) ، والمعنى : رَفَعْنَهَا عَلَى الْمِنَصَّةِ – بِكَسْرِ الْمِيمِ لأَنَّهَا آلَةٌ – وَهِيَ الْكُرْسِيُّ الَّذِي تَقِفُ عَلَيْهِ فِي جِلائِهَا ، وتقول : (نَصَصْتُ الدَّابَّةَ أَنُصُّها نَصًّا) ، والمعنى : اسْتَحَثْثُهَا وَاسْتَخْرَجْتُ أقصى مَا عِنْدَهَا مِنْ السَّيْرِ[2] .

وفي اصطلاح السلف : " النَّصُّ : اللَّفْظ الْمُفِيد الْمُرْتَفع عَن قبُول التَّأْوِيل ، وَقيل : مَا لا يحْتَمل إِلا تَأْوِيلاً وَاحِدًا ، وقيل : مَا يَسْتَوِي ظَاهره وباطنه ، وَقيل : مَا تَعَرَّى لَفْظُهُ عَن الشُّبْهَةِ وَمَعْنَاهُ عَن الشّركَةِ ، وَقيل : مَا وَقَعَ فِي بَيَانه إِلَى أَقْصَى غَايَته"[3] .

([1]) أحمد بن فارس القزويني: معجم مقاييس اللغة (ن ص ص) .

([2]) ينظر: الفيومي: المصباح المنير (ن ص ص) .

([3]) السيوطي: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ص٦٣ .

النص عند الغربيين :

حدثٌ تواصليٌّ يلزم لكونه نصًّا أن تتوفر له سبعة معايير مجتمعةً ، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف عنه واحدٌ من هذه المعايير[1] ، وهي :

١- السبك (Cohesion) ، وهو يترتب على مجموعة من الإجراءات والقواعد تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع ، يؤدي السابق منها إلى اللاحق ، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي ، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط .

٢- الحبك (Coherence) ، وهو التتابع الدلالي للمفاهيم ، وترابط الأفكار داخل النص ، كالتعميم ، والتخصيص ، والسببية ...

٣- القصد (Intentionality) ، وهو نية منشئ النص تحقيق هدفٍ ما عند دخوله في حدثٍ تواصليٍّ وتفاعلٍ لغويٍّ مع المخاطب .

٤- المقبولية أو الاستحسان (Acceptebility) ، وهي : أن تلقى صورةٌ ما من صور اللغة القبولَ من مستقبِلها ومتلقِيها ؛ من حيث هي نصٌّ ذو سبكٍ وانسجام .

٥- الإعلامية أو الإخبارية (Informalitivity) ، وهي أن يكون النصُّ مشتملاً على معلوماتٍ ، يريد منتجه إبلاغها للمتلقي الذي يتوقع ورودها فيه ، أو لا يتوقعه[1] .

---

(1) ينظر: دي بوغراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د/ تمام حسان، ص ١٠٣ – ١٠٥، ودي بوغراند، ولفغانغ دريسلر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة/إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، ص٢٥.

٦- الموقفية أو المقامية (Situationality) ، وهي أن يراعى ارتباط النص بموقف سائد يمكن استرجاعه ؛ ليسهم في تحليل النص الذي جاء به منتجه ؛ ليغير ذلك الموقف أو ليراقبه[٢] .

٧- التناص (Intertextuality) ، وهو العلاقة القائمة بين نصٍّ ما ونصوص أخرى مرتبطة به سبقته في الوجود ، وساعدت في تكوينه .

وهذه المعايير تعود إلى ثلاثة أقسام رئيسة :

الأول : ما يتصل بالنَّص نفسه ، وهما : معيارا السبك والحبك .

والثاني : ما يتصل بمستعمل النَّص ، متكلمًا كان أو مستمعًا ، وهما : معيارا القصد والقبول .

والثالث : ما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنَّص ، وهي معايير : الإعلامية أو الإخبارية ، والموقفية أو المقامية ، والتناص .

ولعل الشكل الآتي يزيد الأمر وضوحًا :

([١]) ينظر: سعيد حسن بحيري: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات ١٤٦.

([٢]) ينظر: دي بوغراند: مرجع سابق ١٠٤.

المعايير النصية عند الغربيين وموافقيهم سبعة، وهي على ثلاثة أقسام:

معياران يتصلان بالنص ذاته – وهما الأهم –:		معياران يتصلان بمن يتعامل مع النص منتجًا ومتلقيًا:		ثلاثة معايير تتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص:		
السبك أو التناسق	الحبك أو الانسجام	القصدية	المقبولية	الموقفية	الإخبارية	التناص

تقرير :

الحقُّ أنَّهُ ليس من اللازم وجود المعايير السبعة في كل نص ؛ لتتحقق النصية ، إذ يمكن أن تتشكل نصوصٌ بأقل قدرٍ منها ، ولكن بوجودها جميعها يتحقق ما يسمى بـ (الاكتمال النصي)[1] .

ولعل أهم أربعة معايير تُحقق نصية النص تتجسد في :

١- الموقف (أو الموقفية) .

٢- القصد (أو القصدية) .

٣- السبك (أو الاتساق أو الربط) .

٤- الحبك (أو الانسجام أو الالتحام) .

أهم ملامح نحو النص :

من أهم ملامح (نحو النص) : النظرة الكلية للنص التي ترصد وسائل التماسك والترابط العميق بين أجزائه ، مع التأكيد على ضرورة المزج بين المستويات اللغوية المختلفة .

فلسانيات النص تصف العلاقات والروابط اللغوية وتدرسها ، " مثل : العطف ، والسببية ، والاستدراك ، والتحليل ، والعلاقات الدلالية ، والرأسية بخاصة ، كالمناسبة بين الآيات والسور عند المفسرين للقرآن الكريم ، والفصل والوصل عند البلاغيين ، والعلاقات في الحقيقة كثيرة ومتنوعة ، منها : التعميم والتخصيص ، الإجمال والتفصيل ، الانحطاط

([1]) ينظر: سعيد حسن بحيري: مرجع سابق١٤٦.

والرقي ، وتختلف من نص إلى آخر بحيث يكاد كل نص يبتكر وسائل تماسكه الدلالية "[1] .

معايير النصية في الذكر الحكيم :

للغتنا العربية طبيعتها الخاصة التي تجعلها في محلِّ الصدارة والريادة ، لا الدونية والتبعية ؛ فهي لغة الرسالة الخاتمة العالمية ، ولسان كتابها الخالد المعجز المهيمن ، وبيان نبيِّها أفصح العرب ﷺ .

والأمة العربية كانت الفصاحةُ أكبرَ أمرها ، وأبرز شأنها ، وكان الكلامُ خيرَ عملها ، وبضاعتها الرائجة في المحافل والأسواق ، وهم بشر غير معصومين ؛ فيجوز أن يجري على لغتهم المنظومة والمنثورة ما جرى في لغة غيرهم من مذاهب حديثة ونظريات معاصرة ؛ لأنَّ العربية لغة تمتاز بالمرونة ، وتُعْرف بالاتساع لما في غيرها من اللغات وعدم الضيق عنه ، فتقبل الآخر ما دام شيئًا صالحًا .

من أجل ذلك يُحكم على شعرها ونثرها بأنَّهُ نَصٌّ ، تلتمس فيه المعايير السبعة السالفة الذكر ، لا ضير في ذلك .

أمَّا الكلام المعجز الذي اتسم بالقدسية ، وعلا على كلام الخلق عُلُوًّا كبيرًا، فلا يُحكم عليه بالنصية بمفهومها عند الغربيين ومن اتبع سَنَنَهم من العرب ؛ إذ لا يليق بقدسيته بعض المعايير ، بل النصية في الذكر الحكيم متحققة بالمعايير الأربعة الآتية :

١- الموقفية (أو المقامية) .

([1]) محمد حماسة عبد اللطيف : الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر ، ص٣٧.

٢- القصد (أو القصدية) .

٣- السبك (أو الاتساق أو الربط) .

٤- الحبك (أو الانسجام أو التلاحم) .

وقد سبقني إلى تحديد تلك المعايير الأربعة لنصية القرآن الكريم الباحثتان العراقيتان : بشرى حمدي البستاني ، ووسن عبد الغني المختار ، في بحثهما : (في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم دراسة نظرية)[1]، فانتقلتُ بها من حيز النظرية إلى التطبيق على سورة نوح عليه السلام ، وانطلقت في بحثي هذا معتمدًا هذه المعايير ؛ لكي يتضح أمرها أمام الباحثين الآملين خدمة لغة القرآن الكريم ، وبيان مواكبتها لكل جديد ، فلعلَّ هذا الْمَهْيَعَ العربيّ يستهويهم ، فيُقرّرون السير فيه على بصيرة .

والحقيقة أنَّ تلك المعاييرَ عربيةٌ ؛ فقد سبق إليها علماء علوم القرآن الكريم ، سبقوا النصيين جميعًا حين تناولوا أسباب النزول ، ومناسبة السور والآيات لما قبلها ، وأهداف السورة ومقاصدها ، وتكلموا عن الوسائل التي ساعدت على اتساق السور والآيات ، وعوامل الترابط فيها، وأمارات الانسجام الدلالي والحبك، فوقفوا على حقيقة النظام اللغوي المكوّن للسورة الكريمة خير وقوف ، وكانوا أعمق نظرًا من النصيين ، وأقدر على خدمة النص المعجز ، والاقتراب من الدلالة المناسبة بمراعاة النظرة الكلية إلى النص .

*****

*

(1) بحث منشور بمجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ١١، العدد ١.

معايير نصية القرآن الكريم في السورة الكريمة

المعيار الأول :

الموقف (أو الموقفية)

والمراد به : وجود مناسبة بين النص والموقف الخارجي الاجتماعي ، أو السياق الذي قيل فيه .

وهو مصطلح عربيٌّ خالصٌ ؛ فقد استخدم كثير من علماء العربية إلى جانب مصطلح السياق مصطلحات أخرى تؤدي المعنى نفسه أو ما يقرب منه ، ومن ذلك : الموقف ، الحال ، المقام[1] .

لقد استعمل ابن جني مصطلح (الحال) مجموعًا مريدًا به الظروف الاجتماعية المحيطة بأداء الكلام ، وهو المراد بكل من : الموقف ، والمقام ، والسياق ، وذلك في باب (الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني) ، حين قال : " والذي يدل على أنَّهم قد أحسّوا ما أحسسنا ، وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان : أحدهما : حاضر معنا ، والآخر غائب عنا إلا أنَّهُ مع أدنى تأمل في حكم الحاضر معنا .

فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها ، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها : من استخفافها شيئًا ، أو استثقاله وتقبله ، أو إنكاره والأنس به ، أو الاستيحاش منه والرضا

([1]) ينظر: عبد الفتاح البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ٢٨.

به ، أو التعجب من قائله ، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود ، بل الحالفة على ما في النفوس "[1] .

ومعروف أنَّ القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ منجمًا ، تبعًا لتنوع الأحداث والظروف ، وتعدد المقامات ؛ ولذا يحتاج فهمه وتحليله إلى معرفة الظروف والأحوال المحيطة به وأسباب نزوله .

فمراعاة السياق شرط مُهم في فهم الخطاب القرآني وتحليله ، وليست مقصورة على هذه الوظيفة التفسيرية حسب ، وإنما تعدَّتها إلى وظيفة أخرى ، هي ترجيح معنًى على معنًى آخر ، وجعل دلالة راجحة وأخرى مرجوحة .

والسياق ثلاثة أنواع[2]:

أولها : السياق المقامي (أو الحالي أو الاجتماعي) ، ويستفاد من العناصر غير اللغوية التي صاحبت النص ، ويراد به أسباب نزول الآيات والسور.

وقد سبق سيبويه اللغويين عربًا وغير عرب إلى ضرورة مراعاة المقام أو السياق الخارجي عند تحليل التركيب أو النص ، وذلك عند تحليله قول القائل : (أَتميميًّا مرّة وقَيْسِيًّا أُخْرَى) في مستهل (باب ما جرى من الأسماء التى لم تؤخذ من الفعل مجرى الأسماء التى أُخذت من الفعل) لاحتياجه إلى تقدير فعلٍ ناصبٍ له ، فقد قال : " وإنَّما هذا أنَّك رأيتَ رجلاً في حال تَلَوُّنٍ وتنقُّلٍ ، فقلت : (أتميميًّا مرّةً وقيسيًّا أُخْرَى) ، كأنَّك قلت : أَتَحَوَّلُ تميميًّا مرة وقيسيًّا أخرى . فأنت فى هذه الحال تَعمل في تثبيتِ

([1]) الخصائص ١/٢٤٦.

([2]) ينظر: بشرى حمدي، ووسن عبد الغني: مرجع سابق١٩١، ١٩٢.

هذا له ، وهو عندك فى تلك الحال في تَلَــوُّنٍ وتنقُّــلٍ ، ولــيس يَســأله مسترشِدًا عن أمرٍ هو جاهلٌ به ليفهِّمَه إيّاه ويُخبِرَه عنه ، ولكنه وبَّخــه بذلك "[1] ، وعند تحليله قول جرير :

أعبْدًا حَلَّ فى شُعَبَى غَريبًا[2] ☆ ... ...

فقد قال : " وأمَّا قول الشاعر :

أعبْدًا حَلَّ فى شُعَبَى غَريبًا

فيكون على وجهين : على النداء ، وعلى أنَّــه رآه فــي حــال افتخــار واجتراءٍ ، فقال : أَعبدًا ، أي : أَتَفْخَرُ عبدًا، كما قال : أَتميميًّا مرّةً "[3] .

والثاني : السياق النَّصي (أو اللغوي) ، ويستفاد من عناصر مقالية داخل النص ، وهو قائم على أنَّ فهم الكلام اللاحق متوقف على فهم السابق .

والثالث : السياق الثقافي ، ويوجب مراعاة الخصوصية الثقافيــة للــنص المؤوَّل ، وصاحبه ، وملابسات إنتاجه .

وسورة نوح عليه السلام مكية بإجماع من المتأولين ، والموقف أو السياق فيها نصيٌّ لغويٌّ ؛ فالسورة مناسبةٌ للسورة قبلها ، ومتصلة بها اتصالاً وثيقًا ، وتبدو هذه المناسبة من ثلاثة أوجه :

([1]) الكتاب ١/٣٤٣.

([2]) صدر بيت من الوافر ، وتمامــه : ... ... ☆ **أَلُؤْمًا لا أَبَا لَكَ واغْتِرَابَا** . ينظر: ديوان الشاعر٥٦.

([3]) الكتاب ١/٣٤٤، ٣٤٥.

أحدها : أنَّ الله ﷻ لما أمر نبيه محمدًا ﷺ بالصبر في قوله ﷻ في سورة المعارج : ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا ﴾[1]، وجليل الإغضاء في قوله ﷻ : ﴿ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ ﴾[2] أتبع ذلك بذكر قصة نوح عليه السلام ، وتكرُّر دعوته قومَه إلى الإيمان مع طول مدتها ؛ تسليةً لنبيه ﷺ ، وليتأسى به في الصبر على قومه ، والتحمل منهم ، والرفق في دعوتهم ، كما قيل له ﷺ في غير هذه السورة : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ ﴾[3]، وقيل: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ﴾[4]، وقيل : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[5]، وقيل : ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ ﴾[6]، وقيل : ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[7]، وغير ذلك[8].

والثاني : أَنَّهُ تَعَالَى لمَّا أَقْسَمَ في آخر سورة المعارج أنَّهُ قادرٌ على أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْ المشركين ، وَكَانُوا قَدْ سَخِرُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَذَّبُوا بِمَا

---

(1) سورة المعارج – الآية : ٥ .

(2) سورة المعارج – من الآية : ٤٢ .

(3) سورة الأحقاف – من الآية : ٣٥ .

(4) سورة فاطر – من الآية : ٨ .

(5) سورة الأعراف – الآية : ١٩٩ .

(6) سورة القلم – من الآية : ٤٨ .

(7) سورة هود – من الآية : ١٢٠ .

(8) ينظر : أحمد بن إبراهيم الغرناطي: البرهان فى تناسب سور القرآن ، ص ٣٤٧، ٣٤٨، وإبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٠/٤٢٤، ٤٢٥.

وُعِدُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ، ذَكَرَ قِصَّةَ نُوحٍ عليه السلام ، فقد كَانَ قَوْمُهُ عُبَّادَ أَصْنَامٍ ، وأَشَدَّ تَمَرُّدًا مِنَ مُشْرِكِي مَكَّةَ ؛ فَأَخَذَهُمُ اللهُ عز وجل أَخْذَ اسْتِئْصَالٍ ، ولَمْ يُبْقِ لَهُمْ نَسْلاً عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، وبَدَّلَ خيرًا منهم ؛ فوقعت سورة نوح عليه السلام موقع الاستدلال والاستظهار لما خُتِمَت به سورة المعارج .

والثالث : تآخي مطلع السورتين الكريمتين في ذكر العذاب الموعد به الكافرين[1]، ففي أول (المعارج) قوله عز وجل : ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾[2]، وفي أول (نوح) قوله جل جلاله: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3].

ولبعض الآيات في السورة الكريمة سياق مادي اجتماعي اتصلت به ، وساعد في تأويلها ، من ذلك :

١- قوله جل جلاله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾[4]، فكان قوم نوح عليه السلام يتباعدون عن سماع دعوته المتكررة رغبة عنه أو خوفًا منه ؛ فكأنَّهم فارُّون ، ولعزمهم على الإقامة على الشرك ، وتواصيهم بالإعراض عن نبيهم كان الرجلُ يذهبُ بابنه

---

(١) ينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط١٠/٢٨٠، والسيوطي: أسرار ترتيب القرآن١٤٧.

(٢) سورة المعارج – الآيات : ١ – ٣.

(٣) سورة نوح – الآية : ١.

(٤) سورة نوح – الآيات : ٥ – ٧.

إلى نوحٍ عليه السلام ، فيقول لابنه : احذر هذا لا يغوينَّك ؛ فإنَّ أبي قد ذهب بي إليه وأنا مثلك ، فحذَّرني كما حذَّرتك[1] .

ولا ريب أنَّ هذا الموقف الخارجي الاجتماعي مرتبطٌ بتلك الآيات ارتباطًا وثيقًا .

٢- قوله تعالى : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[2]، فقد ورد أنَّ قوم نوح عليه السلام لما كذَّبوه زمانًا طويلاً حبس اللهُ عنهم المطرَ ، وأعقم أرحامَ نسائهم أربعين سنةً ، فهلكت أموالهم ومواشيهم ، فقال لهم : استغفروا ربَّكُم من الشرك ، واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم أبواب نعمه؛ لأنَّ الاشتغال بالطاعة يكون سببًا لاتساع الخير والرزق[3] .

٣- قوله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[4]، فهذه أسماء أصنام قوم نوح عليه السلام التي عبدوها من دون الله تعالى، وكانت سبب اسْتِئْصَالِهم بالطوفان ، والسياق الاجتماعي لمشركي مكة أنَّهُم عُبَّاد أصنامٍ ، ومن أصنامهم من أُطلقت عليه تلك الأسماء ، فقد انتقلت تلك الأَسْمَاءُ إِلَى قَبَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ ؛ " فَكَانَ (وَدٌّ) لِكَلْبٍ بِدُومَةِ

---

(1) ينظر : مكي القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية١٢/٧٧٣١، وابن فورك: تفسيره ٣/٥١.

(2) سورة نوح – الآيات : ١٠ – ١٢.

(3) ينظر: علي بن محمد المعروف بـ(الخازن): لباب التأويل في معاني التنزيل٤/٣٤٥.

(4) سورة نوح – الآية: ٢٣.

الْجَنْدَلِ ، وَ(سُوَاعٌ) لِهُذَيْلٍ ، وَقِيلَ : لِهَمْدَانَ ، وَ(يَغُوثُ) لِمُرَادٍ ، وَقِيلَ : لِمَذْحِجٍ ، وَ(يَعُوقُ) لِهَمْدَانَ ، وَقِيلَ : لِمُرَادٍ ، وَ(نَسْرٌ) لِحِمْيَرَ ، وَقِيلَ : لِذِي الْكَلَاعِ مِنْ حِمْيَرَ ؛ وَلِذَلِكَ سَمَّتِ الْعَرَبُ بِـ(عَبْدِ وَدٍّ ، وَعَبْدِ يَغُوثَ) .

وَمَا وَقَعَ مِنْ هَذَا الْخِلَافِ فِي (سُوَاعٍ وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ) يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا صَنَمٌ يُسَمَّى بِهَذَا الاسْمِ ؛ إِذْ يَبْعُدُ بَقَاءُ أَعْيَانِ تِلْكَ الأَصْنَامِ ، فَإِنَّمَا بَقِيَتِ الأَسْمَاءُ ؛ فَسَمّوا أَصْنَامَهُمْ بِهَا "[1] .

٤- قوله ﷻ : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[2]؛ ففي سبب دعاء نوح عليه السلام على قومه بالهلاك قولان أو سياقان :

أحدهما : أنَّ صدور هذا الدعاء منه بعد أن نزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾[3] .

والثاني : أنَّهُ مَرَّ به رجلٌ من قومه ، يحمل صبيًّا صغيرًا على كتفه ، فقال للصبي : احذر هَذَا الشَّيْخ الْمَجْنُون ؛ فَإِنَّهُ يُضِلُّكَ ، فَإِنَّ أَبي حذَّرني إِيَّاه كَمَا حذرتك ، فَقَالَ ذَلِك الصَّبِي : أنزلني فأنزله ، فَجعل يرميه بِالْحجرِ

([1]) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ١٠/٢٨٥.

([2]) سورة نوح – الآيات: ٢٦ – ٢٨.

([3]) سورة هود – من الآية: ٣٦.

حَتَّى شجَّه ، فَغَضب نوحٌ عليه السلام حِينَئذٍ ، ودعا عَلَيْهِم[1] ، فَأَجَــابَ اللهُ عز وجل دَعْوَتَهُ ، وَأَغْرَقَ قومَهُ الكافرين .

*****

*

(1) ينظر: أبو الحسن المــاوردي: النكــت والعيــون٦/١٠٥، وأبــو المظفــر السمعاني: تفسير القرآن٦/٦١.

المعيار الثاني :

القصد (أو القصدية)

يُراد به : أن تشتمل صورةٌ ما من صور اللغة ذاتُ سبكٍ وانسجام على مقاصد وأهداف من منشئها ، بها يكون النَّصُّ وسيلةً ؛ للوصول إلى غاية بعينها[1] .

وهذا ما عَبَّر عنه علماء علوم القرآن بـ(مقاصد السور) ، أو (أهدافها) ، أو (أغراضها) . ومقاصد سورة نوحٍ عليه السلام التي تُعِدُّ الرسائل الموجهة من المرسل ﷻ إلى المتلقي للامتثال والتدبر ، وأخذ العظة والعبرة ، واقتفاء الصراط المستقيم – تتمثل فيما يأتي :

١ – التدليل على قدرة الله ﷻ على ما أَنْذَرَ به آخر سورة (المعارج) ، من إهلاك المُنذَرين ، وتبديل خيرٍ منهم ، ومن القدرةِ على إيجاد القيامة ، الذي طال إنذارهم به ، وهم به مكذبون[2] . قال ﷻ : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾[3] .

---

(1) ينظر: دي بوغراند: مرجع سابق ١٠٣.

(2) ينظر: إبراهيم بن عمر البقاعي: مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ ٣/١٢٤.

(3) سورة المعارج – الآيات: ٤٠ – ٤٤.

٢- ضَرْبُ الْمَثَلِ لِمُشْرِكِي مكة بِأَوَّلِ الْمُشْرِكِينَ الذين عبدوا الأصنام من دون الله ﷻ ، وَهُمْ قَوْمِ نُوحٍ عليه السلام ؛ فسُلِّطَ عَلَيْهِمْ عذابٌ فِي الدُّنْيَا قبل الآخرة . قال ﷻ : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾[1] .

٣- تَفْصِيلُ دَعْوَةِ نُوحٍ عليه السلام قَوْمَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ ﷻ ، وَنَبْذِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ . قال ﷻ : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾[2] .

٤- بيان اسْتِدْلالِ نوح عليه السلام بِبَدَائِعِ صُنْعِ اللهِ ﷻ ، فقَرَنَ الدعوةَ بشواهدها . قال ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾[3] .

---

(1) سورة نوح – الآية: ٢٥.

(2) سورة نوح – الآيات: ٢ – ٩.

(3) سورة نوح – الآيات: ١٥ – ٢٠.

٤- وَعْدُ الْمُطِيعِينَ المستغفرين بِسَعَةِ الأَرْزَاق ، وَإِكْثَارِ النَّسْلِ ، ونعيم الْجنَّة . قال ﷻ : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[1] .

٥- تقرير أمر البعث بعد الموت . قال ﷻ : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾[2] .

٦- ذكرُ تَصْمِيمِ قَوْمِ نوحٍ عليه السلام عَلَى عِصْيَانِهِ ، وتَمَسُّكِهِم بشِرْكِهِمْ . قال ﷻ : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾[3] .

٧- تَسْمِيَةُ الأَصْنَامِ الَّتِي كَانَ قوم نوح عليه السلام يَعْبُدُونَهَا من دون الله ﷻ ، وانتقلت عنهم إلى العرب . قال ﷻ : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[4] .

٧- تقرير دعاء نُوحٍ عليه السلام عَلَى الكافرين من قَوْمِهِ بالاسْتِئْصَالِ وتطهير الأرض منهم ، ودُعَائه بِالْمَغْفِرَةِ لنفسه ولوالديه وَلِلْمُؤْمِنِينَ والمؤمنات[5] . قال ﷻ : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ

---

(1) سورة نوح – الآيات: ١٠ – ١٢.

(2) سورة نوح – الآيتان: ١٧ – ١٨.

(3) سورة نوح – الآيات: ٢١ – ٢٤.

(4) سورة نوح – الآية: ٢٣.

(5) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ٢٩/١٨٥، ١٨٦.

يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[1] .

*****

*

(1) سورة نوح – الآيات: ٢٦ – ٢٨.

المعيار الثالث :

السبك (أو الاتساق أو الربط)

وهو ترابط بُنَى النص السطحية الظاهرة ، وتلاحمها عبر العلاقات النحوية بين المفردات والجمل . وهو نوعان :

السبك النحوي ، والسبك المعجمي ، ولكل نوع منهما وسائله وأدواته .

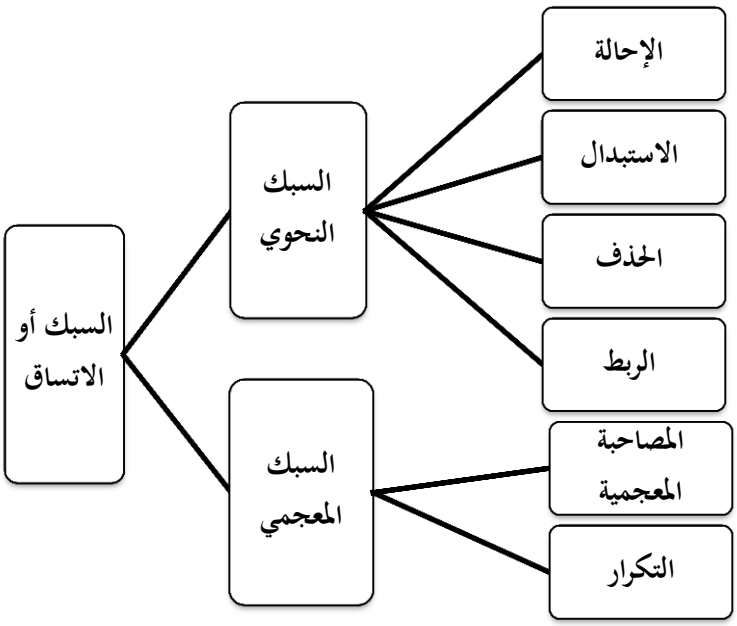

وقد وقفت في الشكل السابق على وسائل السبكين : النحوي ، والمعجمي، فدونك تفصيل القول في كل منهما :

أولاً – وسائل السبك النحوي

إنَّ السبك النحويّ نوعان : سبك نلفيه على مستوى الجملة ، وسبك نلفيه على مستوى النص ، ولكل نوع منهما وسائله ، ودونك البيان :

أولاً - وسائل السبك على مستوى الجملة :

من المقرر في كتب النحو العربي أنَّ وسائل السبك في الجملة هي : (أَنَّ) مفتوحة الهمزة مشددة النون ، و(أَن) المصدرية ، و(ما) المصدرية ، و(لو) المصدرية ، و(كي) المصدرية .

وقد جاء منها في السورة أن المصدرية على وجهين : ظاهرة ، ومضمرة بعد لام التعليل .

أما الظاهرة فجاءت في ثلاثة مواطن ، اثنان منها على سبيل الاحتمال ، وهما الأول والثالث ، وواحد على سبيل القطع ، وهو الثاني . وهاك البيان :

الموطن الأول : قوله ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ ﴾[1]، فـ(أَنْ) مصدرية احتمالاً ، والجملة الفعلية التي فعلُها أمرٌ بعدها في تأويل مصدر، والتقدير : إنَّا أرسلنا نوحًا إلى قومِهِ بالإنذار .

والثاني : قوله ﷻ : ﴿ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[2]، فـ(أَنْ) مصدرية قطعًا ، والجملة الفعلية التي فعلُها مضارع بعدها في تأويل مصدر ،

---

(1) سورة نوح – من الآية: ١.

(2) سورة نوح – من الآية: ١.

مجرور بإضافة (قَبْل) الملازمة للإضافة إلى مفرد- إليه ، والتقدير : من قبل إتيانِهم عذابٌ أليمٌ .

والثالث : قوله ﷻ : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[1]، فـ(أَنْ) مصدرية احتمالاً ، والجملة الفعلية التي فعلُها أمرٌ بعدها في تأويل مصدر، والتقدير : إنِّي لكم نَذِيرٌ مبينٌ بعبادة الله وتقواه وطاعتي .

وقد سَوغ سيبويه أن توصل (أَنْ) المصدرية بفعل الأمر ، كما جاء في قول بعض العرب : (كتبتُ إليه أَنِ افْعَلْ) ، وإن كان من حق الصلة أن تكون جملة خبرية ، تحتمل الصدق والكذب ؛ لأنَّ الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر ، وهو الفعل المحض ، سواء كان أمرًا أو خبرًا ، والأمر دالٌّ على المصدر دلالة غيره من الأفعال ، والمعنى : أرسلناه بالأمر بالإنذار ، وإنِّي لكم نَذِيرٌ بالأمر بالعبادة والتقوى والطاعة[2].

واستدل سيبويه على جواز كونها مصدرية بعد الأمر بأنَّك تُدْخِل الباء الجارة للأسماء عليها ، فتقول : (أوعزْتُ إليه بأَن افعلْ) ، فلو كانت غير مصدرية لم تَدخلها الباءُ[3] .

([1]) سورة نوح – الآيتان : ٢، ٣.

([2]) ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل٢/٣٧٤، والطيبي: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب١٦/٢٨.

([3]) ينظر: الكتاب ٣/١٦٢.

والمصدر المؤول من أَن والجملة الفعلية التي فعلها أمرٌ يحتمل وجهين من الإعراب :

أحدهما : النصب على نزع الخافض ، وهو الباء . قال سيبويه : " فإن حذفت اللام من (أَنْ) فهو نصبٌ ، كما أنَّك لو حذفت اللام من (لإيلافِ) كان نصبًا . هذا قول الخليل "[1]، وقال الفراء : " قوله ﷻ :﴿ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ ﴾. أي : أرسلناه بالإنذار . (أَنْ) : فِي موضع نصب ؛ لأنك أسقطت منها الخافض "[2] .

والثاني : الجر بالحرف المحذوف ؛ لكثرة حذفه مع (أَنْ ، وأنَّ) . أجازه سيبويه حين قال : " ولو قال إنسانٌ : إنَّ (أنَّ) في موضع جرٍّ في هذه الأشياء ، ولكنه حرفٌ كثر استعمالُه في كلامهم ، فجاز فيه حذف الجارّ – لكان قولاً قويًّا . وله نظائر نحو قوله : (لاهِ أبوك) . والأوّل قولُ الخليل "[3] .

وأما (أن) المضمرة بعد لام التعليل فجاءت في موضعين :

أحدهما : قوله ﷻ : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾[4]، ففعل المغفرة منصوب بـ(أن) مضمرة جوازًا بعد لام التعليل ، والمصدر المؤول من (أن) وما بعدها في محل جر باللام ، واللام ومجرورها متعلق بـ(دعوتهم) .

([1]) السابق٣/١٢٧.

([2]) معاني القرآن٣/١٨٧.

([3]) الكتاب ٣/١٢٨.

([4]) سورة نوح – الآية : ٧.

والثـــــاني : قولـــــه ﷻ : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾[1]، ففعل السلوك منصوب بـــ(أن) مضمرة جوازًا بعد لام التعليل ، والمصدر المؤول من (أن) وما بعدها في محـــل جـــر بـــاللام ، والـــلام ومجرورها متعلق بـــ(جَعَلَ) .

*****

*

□

(1) سورة نوح – الآيتان : ١٩، ٢٠.

ثانياً - وسائل السبك على مستوى النص :

الوسيلة الأولى : (الإحالة)

وهي طائفةٌ من الألفاظ داخل النص لا تملك دلالة مستقلة ، بل تعود على عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من النص ، أو مفهومة من المقام .

ولا بد للإحالة من عنصرين ضروريين ، هما : المُحيل ، والمُحال إليه . ولكل منهما نفوذ داخل النص ، والوقوف عليهما وتحديدهما متوقف على أمرين : الثقافة التي يمتلكها المتلقي ، وسياق النص[1] .

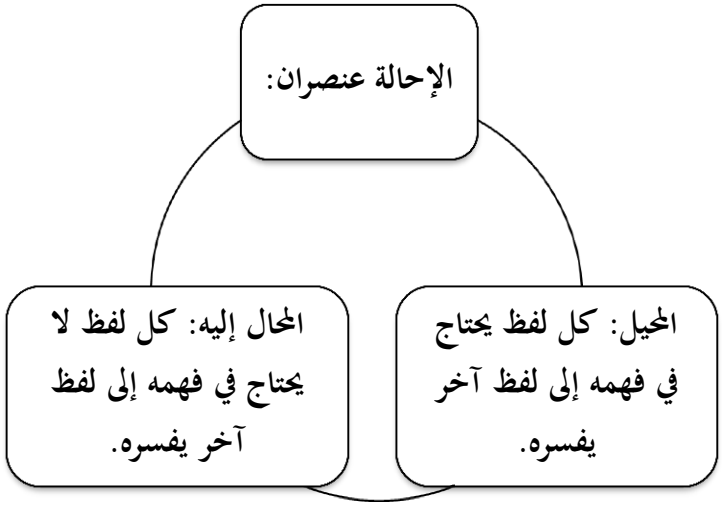

(1) ينظر: محمود بوستة: الاتساق والانسجام في سورة الكهف ٦١.

والإحالة نوعان : مقامية ، ومقالية .

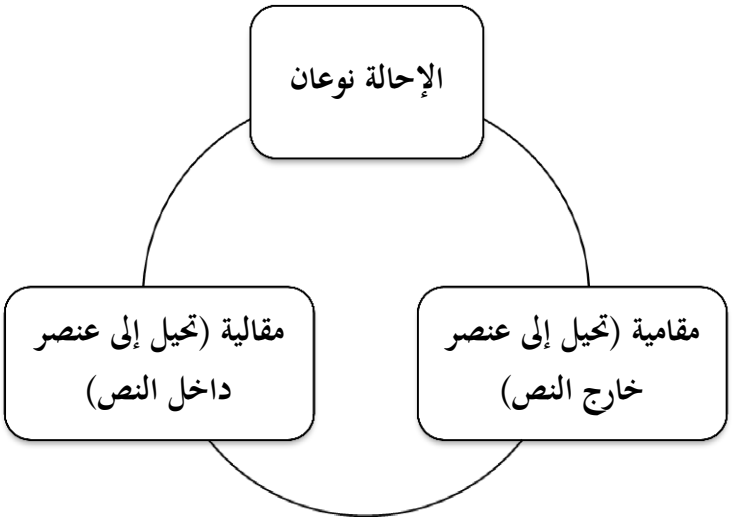

١- **الإحالة المقامية** ، وهي إحالة عنصر لغوي داخل النص إلى عنصر غير لغوي موجود خارج النص ، كـ: إحالة ضمير المتكلم المفرد إلى ذات صاحبه المتكلم .

ولا يتم هذا النوع من الإحالة إلا بمعرفة الأحداث والمواقف المحيطة بالنص حتى يمكن معرفة العنصر غير اللغوي المحال إليه .

ومن هنا تبرز أهمية معرفتنا لأسباب النزول عند دراسة النص القرآني ؛ لكيلا يصعب علينا تحديد مرجع الضمائر .

٢- **الإحالة المقالية** ، وتسمى بـ(الإحالة النصية) ، وهي إحالة عنصر لغوي داخل النص إلى عنصر لغوي موجود في النص ، وهي قسمان :

أ- **إحالة قبلية** ، وتسمى (إحالة بالعودة) ، وهي إحالة عنصر لغوي إلى عنصر لغوي آخر سابق في النص ، كـ: إحالة ضمير الغائب إلى اسم

ظاهر مطابق له في العدد والنوع ، والإحالة التكرارية المتمثلة في تكرار لفظٍ أو عددٍ من الألفاظ في بداية كلِّ جملةٍ من جملٍ النص قصد التأكيد .

ب - **إحالة بعدية** ، وهي إحالة عنصر لغوي داخل النص إلى عنصر لغوي لاحق في النص ، كـــ: إحالة ضمير الشأن ، فهو يحيل إلى جملة مذكورة بعده تفسره وتوضحه .

طرق الإحالة :

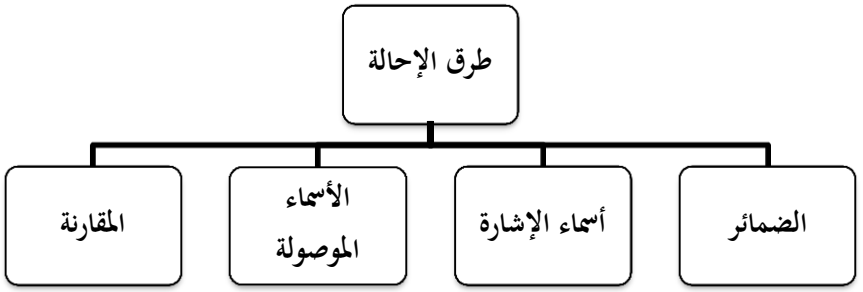

الطريقة الأولى : (**الضمائر**) ، **وهي من حيث الإحالة قسمان** :

أولهما: الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب، وتحيل إلى عناصر خارج النص ، فإحالتها مقامية لا تساهم في تحقيق تناسق الـــنص ، فـــ(أنا ، نحن) يشيران إلى المتكلم ، و(أنت ، أنتما ، أنتم ، أنـــتنَّ) تشـــير إلـــى المخاطَب أو المخاطبة أو المخاطبين أو المخـــاطبتين أو المخـــاطبين أو المخاطبات .

وقد تحيل إلى عناصر داخل النص إذا سبق ذكر الاسم الظاهر التي هـــي له قبلها ، فتساهم بذلك في سبك النص ، وتلاحم أجزائه .

والثاني:ضمائر الغيبة التي للإفراد والتثنية والجمع ، وتحيل إلى عناصر داخل النص قبلية ، فتربط أجزاء النَّص بعضها ببعض ، فإحالتها مقالية تساهم في تحقيق تناسق النص[1]، وإحالة ضمير الشأن بعدية ، كما في قوله ﷻ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[2] .

ودونك إحالات الضمائر في السورة الكريمة ، وما قامت به من سبك وتناسق بين أجزائها على النحو الآتي :

أولاً – إحالات خارج النص ، جاءت عن طريق ضمير المتكلم المعظم نفسه (نا) ، العائد إلى الله ﷻ ؛ فالضمير محيل ، والله ﷻ هو المحال إليه ، وفي الجدول الآتي بيان ذلك :

م	موطن المحيل	المحال إليه	نوع الإحالة
١	(إنَّا) – آية : ١	الله ﷻ	مقامية
٢	(أَرْسَلْنَا) – آية : ١	""	""

(1) ينظر : محمد خطابي: لسانيات النص، ص ١٨.

(2) سورة الإخلاص – الآية : ١ .

ثانيًا - إحالات داخل النص إلى عنصر لغوي سابق ، جاءت عن طريق ضمير المخاطب البارز أو المستتر ، العائد إلى الربّ ﷻ المنادى في كلام نوح عليه السلام. وفي الجدول الآتي بيان مواطن ذلك :

م	موطن المحيل	المحال إليه	نوع الإحالة
١	(لِتَغْفِرَ) – آية : ٧	الربّ ﷻ	مقالية قبلية
٢	(ولا تَزِد) – آية : ٢٤	""	""
٣	(لا تذرْ) – آية : ٢٦	""	""
٤	(تَذَرْهُمْ) – آية : ٢٧	""	""
٥	(إنَّكَ ، عِبَادَكَ) – آية : ٢٧	""	""
٦	(اغْفِرْ ، ولا تَزِد) – آية : ٢٨	""	""

ثالثًا - إحالات إلى عنصر لغوي سابق ، جاءت عن طريق ضمير المتكلم البارز (التاء ، والياء) العائدة إلى نوح عليه السلام ؛ فالضمائر محيلة ونوح عليه السلام هو المحال إليه . وفي الجدول الآتي تحديد مواطن ذلك :

م	موطن المحيل	المحال إليه	نوع الإحالة
١	(إنِّي) الآيات : ٢، ٥، ٧، ٨، ٩	نوح عليه السلام	مقالية قبلية
٢	(دَعَوْتُ) – آية : ٥	""	""

٣	(قَوْمِي) – آية : ٥	""""""	""""""
٤	(دُعَائِي) – آية : ٦	""""""	""""""
٥	(دَعَوْتُهمْ) – الآيتان : ٧، ٨	""""""	""""""
٦	(أَعْلَنتُ ، أَسْرَرْتُ) – آية : ٩	""""""	""""""
٧	(فَقُلْتُ) – آية : ١٠	""""""	""""""
٨	(عَصَوْنِي) – آية : ٢١	""""""	""""""
٩	(رَبِّ) – الآيات : ٥، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٨	""""""	""""""
١٠	(لي ، لِوَالِدَيَّ ، بَيْتِي) – آية : ٢٨	""""""	""""""

رابعًا - إحالات إلى عناصر لغوية داخل النص ، جاءت عن طريق ضمائر المخاطبين البارزة : (الكاف ، والتاء ، وواو الجماعة) ، والمستترة وجوبًا ؛ فكل ضمير منها محيل ، وقوم نوح عليه السلام هم المحال إليه ، وفي الجدول الآتي تحديد مواطن ذلك :

م	موطن المحيل	المحال إليه	نوع الإحالة
١	(لَكُمْ) – الآيات : ٢، ٤ ، ١٢، ١٣، ١٩	قوم نوح عليه السلام	مقالية قبلية
٢	(ذُنُوبِكُمْ ، يُؤَخِّرْكُمْ) – آية : ٤	""""""	""""""

٣	(كُنتُمْ ، تَعْلَمُونَ) – آية : ٤	""""""	""""""
٤	(اسْتَغْفِرُوا) – آية : ١٠	""""""	""""""
٥	(ربَّكُمْ) – آية : ١٠	""""""	""""""
٦	(عَلَيْكُمْ) – آية : ١١	""""""	""""""
٧	(يُمْدِدْكُم) – آية : ١٢	""""""	""""""
٨	(تَرْجُونَ) – آية : ١٣	""""""	""""""
٩	(خَلَقَكُمْ) – آية : ١٤	""""""	""""""
١٠	(تَرَوْا) – آية : ١٥	""""""	""""""
١١	(أَنبَتَكُم) – آية : ١٧	""""""	""""""
١٢	(يُعِيدُكُمْ ، يُخْرِجُكُمْ) – آية : ١٨	""""""	""""""
١٣	(لِتَسْلُكُوا) – آية : ٢٠	""""""	""""""
١٤	(لا تَذَرُنَّ) – آية : ٢٣	""""""	""""""
١٥	(آلِهَتَكُمْ) – آية : ٢٣	""""""	""""""

خامساً - إحالات داخل النص إلى عنصر لغوي سابق ، جاءت عن طريق ضمير الغيبة البارز أو المستتر ، العائد إلى الله ﷻ . وفي الجدول الآتي بيان ذلك :

م	موطن المحيل	المحال إليه	نوع الإحالة
١	(وَاتَّقُوهُ) – آية : ٣	الله ﷻ	مقالية قبلية
٢	(يَغْفِرْ لَكُمْ ، يُؤَخِّرْكُمْ) – آية : ٤	""	""
٣	(إِنَّهُ ، كَانَ) – آية : ١٠	""	""
٤	(يُرْسِلِ) – آية : ١١	""	""
٥	(يُمْدِدْكُم) – آية : ١٢	""	""
٦	(يَجْعَل) – آية : ١٣	""	""
٧	(خَلَقَكُمْ) – آية : ١٤	""	""
٨	(جَعَلَ) – الآيتان : ١٦، ١٩	""	""
٩	(خَلَقَكُمْ) – آية : ١٤	""	""
١٠	(أَنبَتَكُم) – آية : ١٧	""	""
١١	(يُعِيدُكُمْ ، يُخْرِجُكُمْ) – آية : ١٨	""	""

سادساً - إحالات داخل النص إلى عنصر لغوي سابقٍ ، جاءت عن طريق ضمير المخاطب البارز المسبوق باسمه الظاهر ، وضمير الغائب البارز أو المستتر ، العائد إلى نوح عليه السلام . وفي الجدول الآتي نقف على ذلك :

م	موطن المحيل	المحال إليه	نوع الإحالة
١	(قَوْمَهِ ، قَوْمَكَ) – آية : ١	نوح عليه السلام	مقالية قبلية
٢	(قَالَ) – الآيات : ٢ ، ٥ ، ٢١	""	""

سابعاً - إحالات داخل النص إلى عنصر لغوي سابقٍ ، جاءت عن طريق ضمير الغائب البارز أو المستتر ، العائد إلى قوم نوح عليه السلام . وفي الجدول الآتي بيان ذلك :

م	موطن المحيل	المحال إليه	نوع الإحالة
١	(يَأْتِيَهُمْ) – آية : ١	قوم نوح عليه السلام	مقالية قبلية
٢	(يَزِدْهُمْ) – آية : ٦	""	""
٣	(دَعَوْتُهُمْ) – الآيتان : ٧ ، ٨	""	""
٤	(لَهُمْ) – الآيات : ٧ ، ٩ ، ٢٥	""	""
٥	(جَعَلُوا ، أَصَابِعَهُمْ ، آذَانِهِمْ ،	""	""

	اسْتَغْشَوْا ، ثِيَابَهُمْ ، أَصَرُّوا ، اسْتَكْبَرُوا) – آية : ٧		
٦	(إِنَّهُمْ عَصَوْنِي واتَّبَعُوا) – آية : ٢١	""	""
٧	(مَكَرُوا) – آية : ٢٢	""	""
٨	(قَالُوا) – آية : ٢٣	""	""
٩	(أَضَلُّوا) – آية : ٢٤	""	""
١٠	(خَطَيئَاتِهِمْ) – آية : ٢٥	""	""
١١	(أُغْرِقُوا، أُدْخِلُوا، لَمْ يَجِدُوا)–آية:٢٥	""	""
١٢	(تَذَرْهُمْ) – آية : ٢٧	""	""
١٣	(يُضِلُّوا ، لا يَلِدُوا) – آية : ٢٧	""	""

ثامنًا - إحالات داخل النص إلى عنصر لغوي سابق ، جاءت عن طريق ضمير الغائب المستتر ، العائد إلى أجل الله ﷻ . وفي الجدول الآتي بيان ذلك :

م	موطن المحيل	المحال إليه	نوع الإحالة
١	(جَاءَ) – آية : ٤	أجل الله ﷻ	مقالية قبلية
٢	(يُؤَخَّرُ) – آية : ٤	""	""

تاسعًا - إحالة داخل النص إلى عنصر لغوي سبق ذكره ، وهو سبع سماوات ، جاءت عن طريق ضمير الغائبات البارز ، في قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[1]، وقد أعاد الضمير على (سماوات) بصيغة الجمع (فيهنَّ) ؛ لأنَّهُنَّ سبعٌ . وهذا اختيار العرب في كلامها ، اختارت أن تكون " الهاء والنون للجمع القليل من المؤنث ، والهاء والألف للجمع الكثير . تقول من ذلك : (الدراهمُ قَبَضْتُهُنَّ) في القلة . وفي الكثرة : (الدراهمُ قَبَضْتُهَا) ، وكذلك : (بعثت إليه أكْبُشًا فأذبحُهُنَّ ، وكِباشًا فأذبحُها) . قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾[2] ، ثم قال : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ أراد: من الاثني عشر ، فجعل الهاء والألف للكثرة ، ثم قال بعد : ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ أراد : في الأربعة ، فجعل الهاء والنون للقلة . على هذا أكثر أهل العلم "[3] .

عاشرًا - إحالة داخل النص إلى عنصر لغوي سبق ذكره ، وهو الأرض ، جاءت عن طريق ضمير الغائبة البارز ، وفي الجدول الآتي بيان ذلك :

م	موطن المحيل	المحال إليه	نوع الإحالة
١	(فِيهَا) – آية : ١٨	الأرض	مقالية قبلية
٢	(مِنْهَا) – آية : ٢٠	""	""

(1) سورة نوح – الآيتان : ١٥، ١٦.

(2) سورة التوبة – من الآية : ٣٦.

(3) محمد بن القاسم الأنباري: المذكر والمؤنث٢/٢٨٣، ٢٨٤.

حادي عشر - إحالات داخل النص إلى عنصر لغوي سبق ذكره ، وهو (مَنْ) الموصولة ، جاءت عن طريق ضمير الغائب البارز في قوله ﷻ : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾[1]، والمستتر في قوله ﷻ : ﴿ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾[2].

أرأيت كيف تضافرت الضمائر الكثيرة المنتشرة في السورة الكريمة على تناسق النص الكريم وسبكه أحكم سبك ، فالمحال إليهم من مبتدأ السورة إلى منتهاها قليلون من حيث العدد ، وهم (الله ﷻ بصيغة رَبِّي أو اسم الجلالة ، ونوح عليه السلام ، وقوم نوح عليه السلام ، وأجل الله ﷻ ، وسبع سماوات ، والأرض ، ومن الموصولة) ، والضمائر المحيلة انتشرت في السورة الكريمة انتشارًا كثيفًا ، وربطت أجزاءها ربطًا محكمًا ؟

الطريقة الثانية : (**أسماء الإشارة**) ، وهي مبهمةٌ ؛ لأنها تقع على كلِّ شيءٍ ، ولا تخص شيئًا دون شيءٍ ، ولا تفهم إلا إذا رُبِطَت بما تشير إليه .

وتتنوع إلى أسماء إشارة إلى الزمان ، مثل : (الآن ، غدًا ...)، وإشارة إلى المكان ، مثل : (هنا ، هناك ، هنالك...)، وإشارة إلى الأعيان القريبة، مثل: (هذا ، هذه ، هذان...)، والأعيان البعيدة ، مثل : (ذاك ، ذلك ، تلك...) .

وتقوم بالربط القبلي والبعدي ؛ فإنَّها تربط جزءًا لاحقًا بجزءٍ سابقٍ مساهمةً في اتساق النصِّ ، وإحالتها موسعة ؛ فإنها تحيل إلى الجملة

---

(1) سورة نوح – من الآية : ٢١.

(2) سورة نوح – من الآية : ٢٨.

بأكملها ، أو إلى الجمل المتتالية[1] ، فمثال الإحالة إلى الجملة قوله ﷻ : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ ﴾[2]، ومثال الإحالة إلى الجمل المتتالية قوله ﷻ: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[3]، فالإشارة إلى جميع آيات الذكر الحكيم ، ففي أسماء الإشارة اختصار ، وبعد عن التكرار .

ولم يأت منها في سورة نوح عليه السلام شيء .

الطريقة الثالثة : (**الأسماء الموصولة**) ، وهي معارف مفتقرة إلى ما يتمم معناها ؛ فلا بد لها من صلة مشتملة على ضمير ، تتحقق به الإحالة إلى ما يقصده المتكلم .

إنَّها معارف ناقصة لا تعين المراد بانفرادها ، بل مع جملة الصلة مشتملة على ضمير ، وقد وُضِعَ الذي والتي وفروعهما ؛ للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل، وبَيَّنَ الإمام عبد القاهر أنَّ " في (الذي) عِلمًا كثيرًا ، وأسرارًا جمَّةً ، وخفايا إذا بحثْتَ عنها وتصوَّرْتَها اطَّلَعْتَ على فوائدَ تُؤنِسُ النفسَ ، وتُثلِجُ الصدرَ ، بما يُفْضي بكَ إليه من اليقين ، ويُؤدِّيه إليكَ من حُسْنِ التَّبيين .

والوجْهُ في ذلك أنْ تتأملَ عباراتٍ لهمْ فيه لِمَ وُضِعَ ، ولأيِّ غرَضٍ اجْتُلِبَ، وأشياءَ وصَفُوه بها . فمن ذلك قولهم : إن (الذي) اجْتُلِبَ ؛ ليكونَ وُصْلَةً إلى وصْفِ المعارفِ بالجُمل ، كما اجتُلِب (ذو) ؛ ليُتَوصَّل به

---

(1) ينظر: محمد خطابي: مرجع سابق، ص١٩.

(2) سورة البقرة – من الآية : ١١١ .

(3) سورة يونس – من الآية : ١ .

إلى الوصْف بأسماءِ الأجناس ، يعنون بذلك أنك تقولُ : (مررتُ بزيدٍ الذي أبوه منطلِقٌ) ، و(الرجل الذي كان عندنا أمسِ) ، فتجدك قد توصلت بـ (الذي) إلى أن أَبَنْتَ زيدًا مِنْ غَيره ، بالجملة التي هي قولُك : (أبوه منطلِقٌ) ، ولولا (الذي) لم تَصِلْ إلى ذلك كما أنك تقولُ : (مررتُ برجلٍ ذي مال) ، فتتوصل بـ (ذي) إلى أن تبين الرجل من غيرهِ بالمال ، ولولا (ذو) لم يتأتَّ لكَ ذلكَ ، إذ لا تستطيعُ أن تقول : (برجل مالي) ... تفسير هذا : أنَّك لا تَصِلُ (الذي) إلاَّ بجملةٍ من الكلام قد سَبق مِن السامعِ عِلمٌ بها ، وأَمرٌ قد عرَفَه له ، نحو أَنْ تَرى عندَه رجلاً يُنشِدُه شعرًا ، فتقولُ له مِنْ غَدٍ : (ما فعلَ الرجلُ الذي كانَ عندَك بالأمسِ يُنْشِدُك الشِّعرَ؟) .

هذا حُكْم الجملةِ بَعْدَ (الذي) ، إذا أنتَ وصفْتَ به شيئًا .

فكانَ معنى قولهم : " إنَّهُ اجتُلب ليتوَصَّل به إلى وصْف المعارف بالجمل " أنَّه جيءَ به ؛ لِيَفْصل بين أن يُراد ذِكْرُ الشيءِ بجملةٍ قد عرَفها السامعُ له ، وبين أن لا يكون الأمر كذلك "[1] .

ومن الأسماء الموصولة (مَنْ) ، فهي مبهمة تفتقر إلى ما يتمم معناها ، ويزيل إبهامها ، من صلة وضمير ، وقد جاءت في السورة الكريمة مرتين ، ولها موضعان من الإعراب :

أولهما : في قوله ﷻ : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾[2]، فهي مبنيةٌ على السكون في محل نصب ، مفعولٌ به ،

([1]) دلائل الإعجاز ١٩٩، ٢٠٠ .

([2]) سورة نوح – الآية : ٢١ .

ومعناها : الذي ، وجملة الصلة التي لا محلَّ لها من الإعراب ﴿ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾ مشتملة على ثلاثة ضمائر تحيل إحالة قبلية قريبة المدى إلى (مَنْ) .

والثاني : في قوله ﷻ على لسان نوح عليه السلام : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[1]، فمحلها جرٌّ بالحرف ، وصلتها ﴿ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا ﴾ مشتملة على ضمير مستتر عائد إلى (مَنْ) ، وهو فاعل الفعل ، وفي الحال أيضًا (مُؤْمِنًا) ضمير عائد إليها .

الطريقة الرابعة : (**المقارنة**) ، وتعني وجود عنصرين يقارن النص بينهما ، وتنقسم إلى عامة يتفرع منها :

– التطابق ، ويتم باستعمال ألفاظ دالة على وصف الشيء بأنَّهُ شيءٌ آخر ، نحو: نفسه ، وعينه .

– التشابه ، ويكون باستعمال ألفاظ من مثل : يشابه ، أو يحاكي ، أو يضاهي .

– الاختلاف ، ويتم باستعمال ألفاظ ، مثل : آخر ، بطريقة أخرى .

وإلى خاصة تقوم على المفاضلة ، وتتفرع إلى كمية ، مثل : أكثر ، وأقل ، وإلى كيفية ، مثل : أجمل ، أو أحسن[2] .

وإحالتها قد تكون قبلية ، وقد تكون بعدية ، وتحقق اتساق النص وترابطه .

وليس في السورة الكريمة شيء من تلك الطريقة .

([1]) سورة نوح – من الآية : ٢٨ .

([2]) ينظر: محمد خطابي: مرجع سابق ١٩.

الوسيلة الثانية : (الاستبدال)

وهو إحلال عنصر لغوي مكان عنصر آخر داخل النص . ويسمى العنصر الأول من العنصرين بـ(المستبدل منه) ، ويسمى العنصر الآخر الذي تَمَّ إحلاله محلَّ الأول بـ(المستبدَل) ، وهو ثلاثة أنواع : استبدال اسميٌّ ، واستبدال فعليٌّ ، واستبدال عباريٌّ .

ومن أمثلة الاستبدال العباري في الذكر الحكيم قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾[1]، ففيه إحلال عنصر لغوي محل عبارة داخل النص ، وقد تضمن العنصر المستبدل مفهوم العبارة المستبدل منها ؛ فالعنصر المستبدل في الآية هو (ما فعلوه) ، والمستبدل منه العبارة السابقة عليه ، وهي قوله : ﴿ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم ﴾، فكأنَّ الأصل (ما قَتَل نفسه أو خرج من دياره إلا قليلٌ منهم) ، فجاء الاستبدال ؛ تجنبًا للتكرار ، ورومًا للاختصار[2] .

وليس في السورة الكريمة منه شيءٌ .

الوسيلة الثالثة : (الحذف)

وتُدْرك أهميته في النص وقيمته الدلالية حين يأتي على سنن العرب في تأليف كلامها ، وبناء تراكيبها ؛ فـ" الأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها – أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف ، فإن لم

---

(1) سورة النساء – من الآية ٦٦.

(2) ينظر: أحمد عيد: السبك بين نحو الجملة ونحو النص، ص ٥٨، ٦٢، ٦٣ .

يكن هناك دليلٌ على المحذوف ، فإنَّهُ لغوٌ من الحديث ، لا يجوز بوجهٍ ، ولا سببٍ "[١]، و" قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة , وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه , وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته "[٢] .

عَرَّفَ دي بوغراند الحذف بقوله : " استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن ، أو أن يوسّع أو يعدّل بواسطة العبارات الناقصة "[٣] .

ومواطن الحذف التي ساهمت في ترابط النص وتلاحمه في السورة الكريمة – فيما ظهر لي – تتمثل فيما يأتي :

(أ)– (إنَّا) : أصلها : إِنَّنَا ؛ فحُذِفت نون (إنَّ) المتحركة جوازًا ؛ للتخفيف ، وكراهية لاجتماع ثلاث نونات ، وأُدغمت الساكنة في نون الضمير (نَا).

(ب)– حذف مفعول (تعلمون) ؛ لقصد تعميم الحكم ، والتقدير : لو كنتم تعلمون شيئًا ، ويحتمل أن يكون الفعل نُزِّلَ منزلة اللازم ؛ لعدم احتياجه إلى التقدير، أي: لو كنتم من أهل العلم[٤] .

---

(١) ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح/ أحمد الحوفي وآخر ٢/٢٢١.

(٢) ابن جني: الخصائص ٢/٣٦٢.

(٣) دي بوغراند: مرجع سابق ٣٠١.

(٤) ينظر: شهاب الدين الخفاجي: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوي ٨/٢٤٨.

(ج)- (**أسلوب النداء**) ، وهو أسلوب تهيئة وإعداد للمتلقي ؛ لينتبه ويصغي إلى ما يريده المتكلم ، من اتباع ما جاء به من خير وهدى ، وامتثال أوامر ، واجتناب نواهٍ . وجاء الحذف فيه على النحو الآتي :

- (حذف حرف النداء مع المنادى المضاف لياء المتكلم) في قول نوح عليه السلام : (رَبِّ) . ومن المقرر نحويًّا أنَّهُ " يجوز حذف حرف النداء ؛ اكتفاءً بتضمُّن المنادى معنى الخطاب "[1]، وذلك " من ثلاثة أشياء ، وهي : العَلَم ، نحو : ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا ﴾[2]، أي : يا يوسفُ ، والمضاف ، نحو : (عبدَ الله ، افعل كذا) ، أي : يا عبدَ الله ، وأيٌّ ، نحو : (أيُّها الرجلُ ، افعل كذا) ، أي : يا أيُّها الرجلُ "[3] .

فحذف حرف النداء (يا) كثير في كلام العرب ، " وقد كثُر حذفُ حرف النداء في المضاف ، نحو قوله تعالى : ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾[4]، وقال تعالى : ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[5]، وقال : ﴿ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ

([1]) بدر الدين ابن الناظم : شرح ألفية ابن مالك٤٠١.

([2]) سورة يوسف – من الآية ٢٩.

([3]) أبو الفداء: الكناش في فني النحو والصرف١/١٧١.

([4]) سورة يوسف – من الآية ١٠١.

([5]) سورة يوسف – من الآية ١٠١.

ٱلسَّمَآءِ ﴾[1]، وقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[2]. وهو كثيرٌ في الكتاب العزيز"[3] .

وأفصح الوراقُ عن سرٍّ لكثرته حين قال : " وَيجوز أَن يكون الْحَذف كثيرًا فِي الْقُرْآن ؛ لأَنَّ الله تَعَالَى قريبٌ مِمَّن يَدعُوهُ ، فَلهَذَا حُذِفَ حَرْفُ النداء "[4] .

– (حذف ياء المتكلم من المنادى المضاف إليها والاكتفاء عنها بالكسرة) لغة فصحى ، وهي أكثر اللغات الواردة في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ، وقد ألفينا ذلك في قول نوح عليه السلام : (يا قومِ) ، و(ربِّ) .

وقد جاء أسلوب النداء في السورة الكريمة وفي بعض أركانه تنوع ، وهي :

الركن الأول : المنادي ، وهو المتكلم بهذا الأسلوب من أولي العلم ، وفي السورة الكريمة منادٍ واحدٍ فقط ، وهو نوح عليه السلام ، وقد صدرت عنه عدة نداءات لأغراض مختلفة في السورة الكريمة .

الركن الثاني : أداة النداء ، وهي (يا) المذكورة أو المقدرة .

الركن الثالث : الْمُنَادَى ، وهو المخاطب بهذا الأسلوب من أولي العلم . وقد تنوع في السورة الكريمة إلى ما يأتي :

١– قوم نوح عليه السلام ، ناداهم نبيُّهم ؛ لينتبهوا ، ويصغوا إلى ما يريده منهم ، وهو دعوتهم إلى عبادة الله عز وجل وتقواه وطاعته ، ففي استجابتهم

---

(1) سورة المائدة – من الآية ١١٤.

(2) سورة البقرة – من الآية ٢٦٠.

(3) ابن يعيش: شرح المفصل ٣٦٢/١.

(4) علل النحو ٣٤٨.

له مغفرة ذنوبهم ، وتأخيرهم إلى الأجل الذي قدره الله لهم ، وقد جاء ذلك في قوله ﷻ : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[1].

٢- ربّ العالمين ﷻ ، ناداه نوحٌ عليه السلام أربع مرات :

الأولى : على سبيل الإعلام بما دار بينه وبين قومه من محاورات التبليغ والإنذار ، وأمارات التكذيب والإعراض ، والله ﷻ أعلم ، ولكنَّهُ إعذار من نوح عليه السلام إلى الله ﷻ ، فما قَصَّرَ في دعوتهم ، ولا مَلَّ من إعراضهم ، ولا ذهب مغاضبًا من استكبارهم ، بل دعاهم في السر والعلانية ، وفي الليل والنهار ، وذكرهم بآيات الله في الكون والحياة ، وبدائع صنعه في مخلوقاته ، ورغَّبهم في الاستغفار والرجوع إلى الله ، ففي ذلك الخصب والنماء ، وعموم الرخاء ، وكثرة الأموال والبنين ، ونعيم الدنيا ، وإثر بعثهم من قبورهم جنات في الآخرة. نرى ذلك كله في قوله ﷻ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ۝١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ

([1]) سورة نوح – الآيات : ٢ – ٤.

﴿ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾[1].

الثانية : نادى نوحٌ عليه السلام ربَّهُ سبحانه وتعالى ؛ ليعرض عليه نتيجة دعوته قومه ، وهي العصيان التام له ، والإصرار على عبادة الأصنام من دون الله عز وجل ، وقد تواصوا على العكوف لها ، والبقاء في ضلالهم ، فدعا الله ألا يزيدهم إلا ضلالاً على ضلالهم ؛ فاستحقوا بتلك الخطيئة عذاب الدنيا ، وهو الإغراق ، الذي يعقبه عذاب النار في الآخرة ، كما في قوله جل جلاله : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾[2].

الثالثة : نادى نوح عليه السلام ربَّهُ عز وجل داعيًا ألا يترك على وجه الأرض من الكافرين أحدًا ؛ لأنَّ في بقائهم إضلالاً للمؤمنين ، ولا خير في نسلٍ يجيء من هؤلاء . قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[3].

الرابعة : نادى نوحٌ عليه السلام ربه سبحانه وتعالى مختتمًا دعاءه بطلب المغفرة لنفسه ولمن دخل بيته مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات ، وألا يزيد الله الظالمين إلا

---

(1) سورة نوح – الآيات : ٥ – ٢٠.

(2) سورة نوح – الآيات : ٢١ – ٢٥.

(3) سورة نوح – الآيتان : ٢٦ ، ٢٧.

هلاكًا ، في قوله ﷻ : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[1] .

ولعلك وقفت على أنَّ أسلوب النداء لا يقوم بذاته ، فالغرض منه – كما قلنا – إعداد وتهيئة وتنبيه ، ولذا يأتي بعده ما يريده المتكلم به من المخاطب .

(د)- (**حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه**) ؛ فقد قيل في إعراب (جِهَارًا) في قوله : ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾[2]: إنَّهُ مصدر في موضع النصب على الحال ، وهو مؤول بالمشتق ، والتقدير : دعوتهم مُجاهِرًا بالدعاء لهم ، أو على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، والتقدير : دعوتهم ذا جهارٍ .

أو (**حذف المصدر وإقامة صفته مقامه**) ؛ فهناك وجه آخر في إعراب (جِهَارًا) ، وهو أنَّهُ منصوب نصب المصدر ، فهو مفعول مطلق نائب عن المصدر ؛ لأنَّ الدعاءَ أحدُ نوعيه الجِهَار ، أو هو صفة لمصدر (دعا) محذوفًا ، والتقدير : دعوتهم دعاءً جِهَارًا ، أي : مُجاهَرًا به .

(هـ)- (**حذف المفعول المطلق**) ، وهو (إِعْلانًا) من الجملة الأولى ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ ﴾ ؛ اكتفاءً بدلالة مقابله عليه في الجملة الثانية المعطوفة بالواو ، في قوله : ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾[3] .

---

(1) سورة نوح – الآية : ٢٨.

(2) سورة نوح – الآية : ٨.

(3) سورة نوح – من الآية : ٩.

ونلحظ في الآية حذف المفعول به لكلا الفعلين (أعلنتُ ، وأسررتُ) ، فالشيء المعلن والمسر لا وجود له في البنية السطحية لكنَّهُ موجود في البنية العميقة ؛ إذ لا بد لهذين الفعلين من شيء مُعْلَنٍ وشيء مُسَرٍّ ، والآيات السابقة لتلك الآية واللاحقة بها دالة عليه ، فموضوعها (الدعوة) ، والتقدير : ثُمَّ إنِّي أَعْلَنْتُ لهم الدعوةَ إعلانًا وأسررتُها لهم إسرارًا .

(و)- (**حذف أداة الشرط وجملته**) من أسلوب الشرط بعد الطلب على رأي الجمهور في موضعين :

أحدهما : قوله ﷻ : ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[1] ، فـ(يَغْفِرْ) مجزوم ؛ لوقوعه بعد الطلب ، وهو جوابٌ لشرط مقدر دلَّ عليه الطلب ، و(يُؤَخِّرْ) مجزوم بالعطف على الجواب ، والتقدير : إن تَعْبُدُوا الله وتَتَّقُوهُ وتُطِيعُوني يَغْفِرْ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُم ويُؤَخِّرْكُمْ ...

والثاني : قوله ﷻ : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[2] ، فـ(يُرْسِلْ) مجزوم ؛ لوقوعه بعد طلب الاستغفار ، وهو جوابٌ لشرط مقدر دلَّ عليه الطلب ، وكل من (يُمْدِدْ ، ويَجْعَلْ) مجزوم بالعطف على الجواب ، والتقدير : اسْتَغْفَرُوا رَبَّكُمْ مِنَ الشِّرْكِ بالتوحيدِ – لأنَّهُ كان ولا

---

(1) سورة نوح – الآيتان : ٣ ، ٤.

(2) سورة نوح – الآيات : ١٠ – ١٢.

زال غفارًا لمن استغفره وتاب إليه – إنْ تَسْتَغْفِرُوا ربَّكُم يُرْسِلِ السَّمَاءَ عليكم مِدْرَارًا ويُمْدِدْكُم ... ويَجْعَل ... ويَجْعَل ...

وآثرتُ هذا التقدير أخذًا بالرأي المنصور ؛ ففي وجه جزم الفعل بعد الطلب ثلاثة آراء :

أولها : أنَّ لَفْظَ الطلبِ ضُمِّنَ معنى حرفِ الشرطِ ؛ فَجَزَمَ ، وهو رأي ابن خروف، واختاره ابنُ مالك ، ونسبه إلى الخليل وسيبويه .

والثاني : أنَّ جملةَ الشرطِ حُذِفَتْ ، وأُنيب الطلبُ منابَها في العمل ؛ فَجَزَمَ ، وهذا رأي الفارسي والسيرافي وابن عصفور .

والثالث : أنَّ الفعل مجزومٌ ؛ لكونه جوابَ شرطٍ مقدرٍ دلَّ عليه الطلبُ . وهذا القول هو رأي جمهور النحويين ، وهو المختار ؛ فالمتكلم الذي يقول : (أَكْرِمْنِي أُحْسِنْ إليك) ، مراده : أَكْرِمْنِي ؛ فإنْ تُكْرِمْنِي أُحْسِنْ إليك ، ويتعين تقديرُ (إنْ) الشرطية ؛ لأنَّها أمُّ البابِ ، ولتصريحِهم بأنَّه لا يُحذفُ منه غيرُها[1] .

(ز)- (**حذف سبب دعوة نوح** عليه السلام **قومه**) ، فقد حُذِف سببها – وهو عبادة الله وتقواه – وجيء بالمسبب – وهو حصول المغفرة – في قوله : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾[2]؛ لأنَّهُ هو المقصود الأولى ، الذي تطلب العبادة والتقوى للوصول بهما إليه ، والتقدير : كُلَّما دعوتهم ليعبدوك ويتقوك فتغفر لهم ؛ لأنَّ المغفرة تكون بعد الإيمان جعلوا ...

---

(1) ينظر: المرادي: توضيح المقاصد والمسالك٣/١٢٥٧، والأشموني: شرحه على الألفية٣/٣٠٩، ٣١٠، والخضري: حاشيته على شرح ابن عقيل٢/١١٧.

(2) سورة نوح – من الآية: ٧.

فالملحوظ أنَّهُ قد " جرّد المسبب عن السبب ؛ ليكون أشنع عليهم ، أي : ليس مقصودي من دعوتكم إلى الإيمان والطاعة سوى المنفعة العائدة عليكم ، فما أقبح إعراضكم عمَّا ينفعكم !"[١] .

(ح)- (**حذف الجار والمجرور**) ، وهو (فيهنَّ) من قوله : ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾[٢]؛ لدلالة (فيهنَّ) في الجملة الأولى عليه في قوله : ﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا ﴾[٣]، و(في) ظَرْفيةٌ ، والمظروف القمر ؛ فالمراد بـ(فِيهِنَّ) إحداهنَّ ، " وإنما هو – والله أعلم – على كلام العرب ، وإنَّما القمر في السماء الدنيا فيما ذُكِرَ ، كما تقول : (أَتَيْتُ بني تَمِيم) وإنَّما أتيت بعضهم "[٤] . قال السمين الحلبي : " والقمرُ إنما هو في سماءٍ واحدةٍ منهنَّ . قيل : هو في السماءِ الدنيا ، وإنَّما جازَ ذلك ؛ لأنَّ بين السماواتِ ملابَسةً فصَحَّ ذلك . وتقولُ : (زيدٌ في المدينةِ) ، وإنَّما هو في زاويةٍ من زواياها"[٥] .

وقيل : إنَّ (في) ظرفيةٌ ، والمظروف نور ؛ فيكون فيهنَّ جميعًا ، وقيل : إذا كان في إحداهنَّ فهو فيهنَّ[٦]، وقيل : إنَّ معنى (في) المصاحبة ؛

---

(١) الطيبي: مرجع سابق١٦/٣٠.

(٢) سورة نوح – من الآية: ١٦.

(٣) سورة نوح – من الآية: ١٦.

(٤) أبو الحسن الأخفش: معاني القرآن٢/٥٥٠.

(٥) الدر المصون١٠/٤٧١.

(٦) ينظر: الكرماني: غرائب التفسير وعجائب التأويل٢/١٢٥٧.

فـ(فِيهِنَّ نُورًا) بمعنى : مَعَهُنَّ نُورًا ، كما قَالَ امْـرُؤ الْقَـيْس : [مـن الطويل]

وَهَلْ يَعِمَنْ مَن كان أحدثُ عَهدِه ☆ ثَلاثِينَ شهرًا في ثَلاثَةِ أحوَالِ[1]

أَي: مَعَ ثَلاثَة أَحْوَال[2] .

(**ط**)- (**حذف فعل الحكاية** : **قـال**) بعد الواو العاطفة لدعاء نـوح عليه السلام على ندائه ربّه المحكي بالقول في قوله : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾[3]، فـ(لا تَزِد) مقول لقول محذوف معطوف بـالواو علـى ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾، والتقدير : وقال نوح : لا تزد الظالمين إلا ضلالاً ، وقد عقـد جار الله فَنْقَلَةً أوضح فيها ذلك ، فقال : " فإن قلتَ: علامَ عطف قولـه: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾؟ قلتُ : على قوله: ﴿ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد (قالَ) وبعد الواو النائبة عنه ، ومعناه: (قال نوح: رب إنهم عصوني، وقال: لا تزد الظالمين إلا ضلالاً)، أي: قال هذين القولين، وهما في محل النصب؛ لأنَّهما مفعولا (قال)، كقولك: (قال زيد: نودي للصـلاة وصل في المسجد)، تحكى قوليه معطوفًا أحدهما على صاحبه"[4].

([1]) البيت في ديوان الشاعر، تح/عبد الرحمن المصطاوي١٣٥.

([2]) ينظر: أبو المظفر السمعاني: مرجع سابق٥٨/٦.

([3]) سورة نوح – الآيات : ٢١ – ٢٤.

([4]) الزمخشري: مرجع سابق٦١٩/٤.

(**ي**)- (**حذف الفاعل وبناء الفعل للمفعول**) ، والفعل مضارع في قوله : ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾[1]، وماضٍ في قوله : ﴿ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴾[2]، وقد حُذِفَ فاعلهما ؛ للعلم به ، والتقدير : لا يُؤَخِّرُهُ اللهُ ، وأَغْرَقَهم اللهُ في الدنيا وسيُدْخِلُهم في الآخرة نارًا، " وعلى هذا معنى لفظ الماضي في قوله : (فأُدْخِلُوا) للاستقبال ، وذُكِرَ على لفظ الماضي ؛ لصحة كونه ، وصِدْق الوعد به "[3] . قال السمين الحلبي : " قوله : (فَأُدْخِلُوا) يجوز أَنْ يكونَ من التعبيرِ عن المستقبلِ بالماضي ؛ لتحقُّق وقوعِه ، نحو : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾[4]، وأَنْ يكونَ على بابِه ، والمرادُ : عَرْضُهم على النار في قبورِهم ، كقولِه في آلِ فرعونَ : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[5]..." [6] .

(**ك**)- (**حذف الفعل الثلاثي المجرد**) من قوله : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾[7] على الوجه القائل بأنَّ (نباتًا) مصدر منصوب على المفعولية المطلقة ، وناصبه فعل ثلاثي مجرد محذوف ، وهو المطاوع للثلاثي المزيد فيه حرف ، وهو (أَفْعَلَ) ، والتقدير : والله أنبتكم من الأرض فَنَبَتُّمْ

---

(1) سورة نوح – من الآية : ٢٥.

(2) سورة نوح – من الآية : ٢٥.

(3) أبو الحسن الواحدي: التفسير البسيط ٢٧٢/٢٢.

(4) سورة النحل – من الآية : ١.

(5) سورة غافر – من الآية : ٤٦.

(6) الدر المصون ٤٧٧/١٠.

(7) سورة نوح – الآية : ١٧.

نباتًا[١]، فـ" الآية صالحة للاحتباك : ذكر (أنبت) أولاً دال على حذف مصدره ثانيًا ، وذكر (النبات) ثانيًا دال على حذف فعله أولاً ؛ ليكون التقدير : أنبتكم إنباتًا فنبتم نباتًا"[٢] . والمراد بالاحتباك : أن يجتمع في الكلام متقابلان ، فيحذف من كل واحد منهما مقابله ؛ لدلالة الآخر عليه[٣] ، وهو من ألطف أَنْوَاع البديع وأعزها ، وَسماه الإمام الزركشي (الحذف المُقَابَلِيّ) .

وتكمن روعة هذا الحذف في " التنبيه على نفوذ القدرة في المقدور ، وسرعة إمضاء حكمها حتى كان إنبات الله لهم نفس نباتهم ، أي : إذا وُجِدَ الإنبات وُجِدَ النبات حتمًا ، حتى كان أحدهما عينَ الآخر ؛ فقرن به"[٤] .

والاحتباك بادٍ في قوله ﷻ : ﴿ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾[٥]، والتقدير في الآية : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ولا تزدهم إلا مفازًا ، ولا تكرم المارقين وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلا تَبَارًا . فـ" إثبات الدعاء المقتضي لأصل إكرام المؤمنين أولاً مرشد إلى حذف الدعاء

---

(١) ينظر: السمين الحلبي: مرجع سابق١٠/٤٧٢.

(٢) إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور٢٠/٤٤٤.

(٣) ينظر : الزركشي: البرهان في علوم القرآن٣/١٢٩، وابن منظور: لسان العرب (ح ب ك)، والجرجاني: التعريفات ص١٢.

(٤) شهاب الدين الخفاجي: مرجع سابق٥/٩.

(٥) سورة نوح – الآية : ٢٨.

المفهم لأصل إهانة الكافرين ثانيًا ، وإثبات الدعاء بزيادة التبار ثانيًا مفهم لحذف الدعاء الموجب لزيادة المفاز أولاً "[1] .

ولعلك أدركت أنَّ الحذف الذي يقف عليه متلقي النص في النص ، ويلحظه بدلالة ما قبل المحذوف من الكلام عليه ، أو ما بعده يُعَدُّ وسيلةً من وسائل ترابط بنيان النص ، وتلاحم أجزائه ، واتساق مفاصله ؛ فهو " بابٌ دقيقُ المَسْلك ، لطيفُ المأخذ ، عجيبُ الأَمر ، شبيهٌ بالسِّحْر ؛ فإنَّكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ أَزْيَدَ للإِفادة ، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إِذا لم تَنْطِقْ ، وأَتمَّ ما تكونُ بيانًا إذا لم تبن "[2]، و" رُبَّ حَذْفٍ هو قِلادَةُ الجِيد ، وقاعدةُ التَّجويد"[3] .

([1]) إبراهيم بن عمر البقاعي: مرجع سابق٢٠/٤٦٠.

([2]) عبد القاهر الجرجاني: مرجع سابق١٤٦.

([3]) المرجع السابق ص١٥١.

الوسيلة الرابعة : (الربط)

الفعل (رَبَطَ) بمعنى (شَدَّ) متعدٍّ ، جاء مضارعه من بابين : بـــاب (فَعَــلَ يَفْعِلُ) بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع ، وباب (فَعَلَ يَفْعُلُ) بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع[١] .

فـــ(الرَّبْطُ) بمعنى (الشَّدِّ) " قرينة لفظية على اتصـــال أحـــد المتـــرابطين بالآخر"[٢]،

وتشير إلى العلاقات التي بين مساحات المعلومات المكونة لهيكل النص ، وإلى إمكانية اجتماع العناصر والصور وتعلق بعضها ببعض فـــي عـــالم النص[٣] .

وتقوم هذه الوسيلة على أدوات تجمع بين جملتين في النص ؛ لإفادة التماسك ، وتحقيق التلاحم بينهما ، مثل : حروف العطـــف ، وحـــروف الجـــر ، وحروف الشرط ، والظروف ، وغيرها .

وقد تنوعت الروابط في السورة الكريمة على النحو الآتي :

---

(١) ينظر: زين الدين الرازي: مختار الصحاح، والفيومي: المصباح المنيـــر (ر ب ط).

(٢) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها ص٢١٣.

(٣) ينظر: دي بوغراند : مرجع سابق ص ٣٤٦.

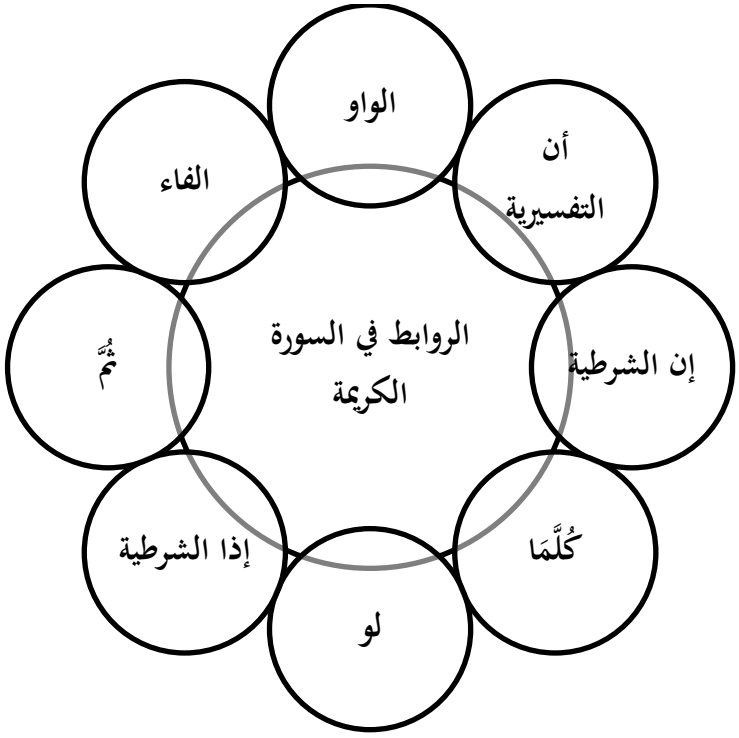

أولاً – (أن التفسيرية) ، هي بمعنى (أَيْ) ، تُفَسِّر وتُبَيِّن ما في الكلام قبلها من معنى القول دون حروفه ، والجملة التي تليها لا محلَّ لها من الإعراب ؛ لأنها مُفَسِّرةٌ ، وقد جاءت في موطنين :

أحدهما : قوله ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1]، قال الفراء : " وكلُّ كلامٍ رجع إلى القول جاز فِيهِ دخول (أَنْ) ، وجاز إلقاء (أَنْ) ... فأمَّا الَّذِي يأتي بمعنى القول ؛ فتظهر فِيهِ (أَنْ) مفتوحة فقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ

(1) سورة نوح – الآية : ١.

قَوْمَكَ ﴾ . جاءت (أَنْ) مفتوحة ؛ لأنَّ الرسالةَ قولٌ ... وكذلك كلّ ما كان فِي القرآن . وهو كثير"[1] .

والثاني : قوله ﷻ : ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[2]؛ لأنَّ الإنذار قولٌ ، والنذير قائل .

فـ(أنْ) في الموضعين مفسرةٌ لما في الإرسال والإنذار من معنى القول ، وقد عرفها الشيخ خالد بقوله : "هي المسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه ، المتأخر عنها جملةٌ ، ولم تقترن بجار"[3] .

ثانيًا – (**الواو**) : التي تفيد الجمع المطلق بين المعطوفين أو الأشياء المعطوفة ، عطفت مفردات بعضها على بعض في السورة الكريمة ، والغرضُ من عطف المفردات: " اختصارُ العامل ، واشتراكُ الثاني في تأثيرِ العامل الأوّل ؛ فإذا قلت : (قام زيدٌ وعمرٌو) ، فأصله : قام زيدٌ وقام عمرٌو ، فحذفت (قام) الثانية ؛ لدلالة الأُولى عليها ، وصار الفعل الأوّلُ عاملاً في المعطوف والمعطوف عليه . هذا مذهبُ سيبويه وجماعةٍ من المحققين"[4] . فـ " في حروف العطف اختصار بديع ، وهو أنَّها تكفي مؤونة تكرير العامل "[5] .

([1]) معاني القرآن١/٨٠، ٨١.

([2]) سورة نوح – الآيات : ٢ – ٤.

([3]) التصريح٢/٣٦٣.

([4]) ابن يعيش: مرجع سابق٢/٢٧٧، ٢٧٨.

([5]) أحمد بن الحسين بن الخباز: توجيه اللمع٢٨٣.

وقد تمثل عطف المفردات في المواطن الآتية :

١- قوله ﷻ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾[١]، فقد جمعت الواو بين ظرفي الزمان ، وجعلت كليهما محلاً لوقوع الدعوة فيه .

٢- قوله ﷻ : ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾[٢]، فقد جمعت الواو بين الأموال والبنين في وجه الجر ، وأشركتهما في التعلق بفعل الإمداد .

٣- قوله ﷻ : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾[٣]، فقد جمعت الواو بين المال والولد في وجه الرفع ، وجعلت كليهما فاعلاً في سياق النفي الذي معناه الإثبات ؛ لانتقاض النفي بـ(إلا) ، فصار المعنى : واتبعوا الذي زَادَهُ مَالُهُ وولَدُهُ خسارًا .

٤- قوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[٤]، فقد جمعت الواو بين الأصنام التي كانت تعبد من دون الله في وجه النصب ، وجعلتها جميعًا في حكم المنهي عن التخلي عن عبادته إلى عبادة رب نوح عليه السلام .

٥- قوله ﷻ : ﴿ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[٥]، فقد جمعت الواو بين نوح عليه السلام ووالديه ومن معه من

---

(١) سورة نوح – الآية : ٥.
(٢) سورة نوح – من الآية : ١٢.
(٣) سورة نوح – من الآية : ٢١.
(٤) سورة نوح – من الآية : ٢٣.
(٥) سورة نوح – من الآية : ٢٨.

المؤمنين خاصة والمؤمنين والمؤمنات كافة إلى يوم القيامة في طلب المغفرة والتعلق بفعلها .

وفي هذا القول الكريم " بشارةٌ لكلِّ مؤمن ومؤمنة تكون إلى يوم القيامة؛ لأنَّ نوحًا عليه السلام نبيٌّ ، ودعاؤه مستقيم "[1] .

وعطفت الواو جملاً بعضها على بعض في السورة الكريمة ، " والغرضُ من عطف الجمل : رَبْطُ بعضها ببعضٍ ، واتصالُها ، والإيذانُ بأنّ المتكلم لم يُرِد قَطْعَ الجملة الثانية من الأُولى ، والأَخْذَ في جملةٍ أخرى ليست من الأُولى في شيءٍ . وذلك إذا كانت الجملةُ الثانيةُ أجنبيّةً من الأولى غير ملتبسةٍ بها ، وأُريد اتّصالُها بها ، فلم يكن بدٌّ من الواو لرَبْطها بها ؛ فأمّا إذا كانت ملتبسةً بالأَولى بأن تكون صفة ، نحو : (مررت برجل يقوم) ، أوَ حالاً ، نحو : (مررتُ بزيدٍ يكتُب) ، ونحوها , لم تحتج إلى الواو "[2] .

وقد تَجلَّى عطف الجمل في المواضع الآتية :

١- قوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[3]، فقد جمعت الواو بين الجمل الثلاث في كونها لا محلَّ لها من الإعراب ؛ لتفسيرها قوله : ﴿ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾[4] ، وحكم الجملة التفسيرية وما عُطِفَ عليها واحد .

---

(1) محمد بن على الكَرَجي القصَّاب: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام٤/٤٠٩.

(2) ابن يعيش: مرجع سابق٢/٢٧٨.

(3) سورة نوح – من الآية : ٣.

(4) سورة نوح – من الآية : ٢.

٢- قوله ﷻ : ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[١]، فالجملة الأولى واقعةٌ جوابًا لشرط مقدر بعد الطلب ، وليست مقرونة بالفاء ، وقد جمعت الواو بين الجملة التي تليها وبينها في ذلك ، فكلتاهما لا محل لها من الإعراب ، والتقدير : إن تعبدوا الله وتتقوه وتطيعوني يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى .

٣- قوله ﷻ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾[٢]، فالجملة الأولى في محل نصب مفعول به للفعل (قال) ، وجمعت الواو بين الجملة التي تليها وبينها في الحكاية بفعل القول ، وكسر همزة (إنَّ) ، وكلتا الجملتين في محل نصبٍ .

٤- قوله ﷻ : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾[٣] ، فالجملة الواقعة جوابًا لـ(كلَّما) لا محل لها من الإعراب ؛ لكونها جوابًا لأداة شرط غير جازمة ، وقد جمعت الواو بين الجملتين اللتين تليها وبينها في إفادة تكرار وقوع الجواب بتكرار وقوع الشرط في الزمن الماضي .

---

(١) سورة نوح – من الآية : ٤.

(٢) سورة نوح – الآيات : ٥ – ٧.

(٣) سورة نوح – من الآية : ٧.

٥- قوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾[١] ، فالجملة الواقعة خبرًا لـ (إنَّ) ، والجملة التي عطفت عليها بالواو ، كلتاهما في محل رفعٍ .

٦- قوله ﷻ : ﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾[٢]، فالجملة الأولى واقعة جوابًا لشرط مقدر بعد الطلب ، لا محل لها من الإعراب ، والجمل الثلاث التي تليها لا محل لها من الإعراب أيضًا ؛ فقد جمعت الواو بينها في الترتب على جملة الشرط وفي الحكم ، والتقدير : إن تستغفروا ربَّكم يرسل السماء عليكم مدرارًا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارًا .

٧- قوله ﷻ : ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾[٣]، فجملة ﴿ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴾ في محلِّ نصب ، مفعول به لفعل الرؤية الذي عُلّق عن العمل في اللفظ باسم الاستفهام (كيف) ، والجملتان اللتان تليها في محل نصبٍ ؛ لأنَّهما تابعتان للأولى بطريق العطف بالواو التي أفادت الجمع المطلق بين المعطوفات .

---

(١) سورة نوح – الآية : ٩.

(٢) سورة نوح – الآيتان : ١١ ، ١٢.

(٣) سورة نوح – الآيتان : ١٥ ، ١٦.

٨- قولـــه ﷻ : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴾[1]، وفي هذا الموضع جمعت الـــواو بـــين الجمل من حيث النوع والحكم ، وكان العطف بها من وجهين مختلفين :

أحدهما : عطف على ذي المحل من الإعراب ؛ فجملـــة ﴿أَنۢبَتَكُم﴾ فـــي محل رفع ، خبر المبتدأ ، وقد عُطِف عليها جملتان فعليتـــان ، أولاهمـــا بـــ(ثمَّ) ، والأخرى بـــ(الواو) ، فاشتركت الجمل الثلاث في حكم الخبرية عن المبتدأ وما يقتضيه .

والآخر : عطف على ما ليس له محل ، فجملة ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم﴾ استئنافية اسمية – ذات مبتدأ وخبر – لا محل لها من الإعراب ، وقد جمعت الواو بين جملة (والله جعل الأرض بساطا) وبينها في ذلك .

٩- قوله ﷻ : ﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴾[2]. والعطف هنا على أوجه :

أحدها : عطف على ذات محل الرفع ، فجملة (عصوني) في محل رفع ، خبر (إنَّ) ، وقد أشركت الواو معها جملة (واتبعوا) في ذلك الحكم .

والثاني : عطف على ما ليس لـــه محـــل ، فجملـــة ﴿لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا﴾ صلة الموصول (مَنْ) لا محل لها مـــن الإعـــراب ، وشـــاركتها

(١) سورة نوح – الآيات : ١٧ – ١٩.

(٢) سورة نوح – الآيات : ٢١ – ٢٤.

جملتان في ذلك الحكم عن طريق العطف بالواو ، وهما : (ومَكَرُوا... وقالوا...) ، وجُمِعَ الضمير فيهما باعتبار معنى (مَنْ) لا لفظها . قال أبو السعود : " (وَمَكَرُوا) عطفٌ على صلةِ (مَنْ) ، والجمعُ باعتبارِ مَعناهَا ، كما أنَّ الإفراد في الضَّمائرِ الأُوَلِ باعتبارِ لفظِها"[1] .

والثالث : عطف مقدر ، وهو جملة الحكاية (قال نوحٌ) على مذكور ، وهو جملة الحكاية السالفة الذكر (قال نوحٌ) ، وليس لها محل ؛ لأنَّها استئنافية ، والتقدير : قال نوحٌ : ربِّ إنَّهُم عَصَوْنِي ... وقال نوحٌ : قد أَضَلُّوا كثيرًا ...

والآخر : عطف على ذي محل النصب مرتين : إحدهما : عطف جملة ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ على جملة ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ التي هي في محل نصبٍ على المفعولية ؛ لأنَّها مقول القول ، والقائل عظماء قوم نوح عليه السلام .

وهو من عطف الخاص على العام ، والمعنى : " لا تتركُوا عبادتَهَا على الإطلاق إلى عبادةِ ربِّ نوحٍ ... ولا تذُرنَّ عبادةَ هؤلاءِ . خصُّوها بالذكرِ مع اندراجِهَا فيمَا سبقَ ؛ لأنَّها كانتْ أكبر أصنامهم وأعظمها عندهُم ، وقد انتقلتْ هذه الأصنامُ عنهُم إلى العربِ : ودٌّ لكَلْبٍ ، وسُوَاعٌ لهَمْدانَ ، ويَغُوثُ لمَذْحِجَ ، ويَعُوقُ لمُرادٍ ، ونَسْرٌ لحِمْيَر "[2] . قَالَ ابْن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – : " صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ ، أَمَّا وُدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ ، وَأَمَّا

([1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم٩/٤٠.

([2]) أبو السعود العمادي: المرجع السابق٩/٤٠.

يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَأَ ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ ، لآلِ ذِي الْكَلاَعِ .

أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا ، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ ، فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ "[1].

والثانية : عطف جملة ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ على جملة ﴿ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ ﴾ التي هي في محل نصبٍ على المفعولية ؛ لأنَّها مقولُ القول المقدر إثر الواو ، والقائل نوح عليه السلام .

قال جار الله : " فإن قلت : علامَ عُطِفَ قوله : ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾؟ قلت : على قوله : ﴿ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي ﴾ على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد (قالَ) وبعد الواو النائبة عنه ، ومعناه : قال : رب إنهم عصوني ، وقال: لا تزد الظالمين إلا ضلالاً ، أي : قال هذين القولين ، وهما في محل النصب ، لأنَّهما مفعولا (قال) كقولك : (قال زيدٌ : نُودي للصلاة وصَلِّ في المسجد) ، تحكي قوليه معطوفًا أحدهما على صاحبه "[2] .

وإنَّما قال : ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فجاء بالمفعول الأول لفعل الزيادة مظهرًا ، ولم يقل : (وَلا تَزِدْهُم) بالإتيان به مضمرًا ؛ لغرضٍ مُؤْثَرٍ ، ونكتةٍ قُصِدَ

([1]) صحيح البخاري: كِتابُ تفسيرِ القرآنِ، سورة إنَّا أرسلنا، باب { ودًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا }، رقم ٤٩٢٠.

([2]) الكشاف٤/٦١٩.

إليها قصدًا ، ألا وهي : " وضعُ الظَّاهرِ موضعَ ضميرِهم ؛ للتسجيلِ عليهِم بالظلمِ المفرطِ ، وتعليلِ الدعاءِ عليهِم بهِ "[1] .

وقيل : إنَّ حرف العطف هنا دال على الترتيب والسببية ؛ لأنَّ " الواو – هاهنا – واقع موقع الفاء ؛ لأنَّهُ في التقدير : فعلوا كذا فافعلْ كذا "[2] .

١٠- قوله ﷻ : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[3]، فجملة (وقال نوحٌ) لا محل لها من الإعراب ؛ لأنَّها معطوفة على الجملة الاستئنافية السابقة (قال نوحٌ) . قال الكرماني : " قَوْله : (قَالَ نوحٌ) بِغَيْر وَاو ثمَّ قَالَ : (وَقَالَ نوحٌ) بِزِيَادَة الْوَاو ؛ لأَنَّ الأولَ ابْتِدَاءُ دُعَاءٍ ، وَالثَّانِي عطفٌ عَلَيْهِ "[4] .

١١- قوله ﷻ : ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[5]، فجملة ﴿ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ ﴾ لا محلّ لها من الإعراب ؛ لأنها جواب لشرط جازم ، وليست مقترنةً بالفاء ، وجمعت الواو معها في ذلك جملة ﴿ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ .

---

(1) أبو السعود العمادي: مرجع سابق٩/٤١.

(2) الكرماني: مرجع سابق٢/١٢٥٧.

(3) سورة نوح – الآية : ٢٦.

(4) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان٢٤١.

(5) سورة نوح – الآية : ٢٧.

١٢- قولـــــه ﷻ : ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾[١]، فجملة ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾لا محلّ لها من الإعراب ؛ لأنَّها معطوفة بالواو على جملة (اغْفِرْ لـــي) ، وهـــي استئنافية .

ثالثًا – (**الفاء**) ، و" من شأنها أن يكـــون المعنـــى الـــذي اشـــترك فيـــه المعطوف والمعطوف عليه حاصلاً للمعطوف بعد حصوله للمعطوف عليه بلا مهلة فصلٍ ، ويكون حصوله للثـــاني عقـــب حصـــوله لـــلأول" [٢]، " والتّعقيب في كلّ شيء بحسبه ، نحو : تَزَوَّج فَوُلِدَ لَهُ ، مـــع أنَّ بينهمـــا مدّة الحمل "[٣] .

وهذا الترتيب والتعقيب مُلْفًى في قولـــه ﷻ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾[٤]، فعطفت الفاء تلك الجملة على ســـابقتها ، وأفادت التشريك بينهما في المعنى والإعراب ، فكلتاهما مقول القول ، في محل نصبٍ ، والتقدير : قال نوحٌ : يا ربِّ ، إنِّي دعـــوتُ قـــومي إلـــى عبادتك ليلاً ونهارًا فلم يزدهم دعائي لهم إلا تباعدًا عن الإيمان وإدبـــارًا عن الحق .

---

(١) سورة نوح – الآية : ٢٨.

(٢) ابن السيرافي: شرح أبيات سيبويه١/١٠١.

(٣) شيخ زاده: شرح قواعد الإعراب لابن هشام ١٧٦.

(٤) سورة نوح – الآيتان : ٥ ، ٦.

وأفادت الفاء التفريع على دعوة نوح عليه السلام المستغرقة لجميع الأوقات والأحوال في قوله : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾[1]؛ فقد " فَصَّلَ دَعْوَتَهُ بِفَاءِ التَّفْرِيعِ ، فَقَالَ : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾. فَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي قَالَهُ لَهُمْ لَيْلاً وَنَهَارًا وَجِهَارًا وَإِسْرَارًا "[2] .

وكانت للترتيب والتعقيب في قوله سبحانه : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾[3]، فإدخالُ النَّار تَعَقَّبَ الإغراقَ من غير تراخٍ، والمراد به إمَّا عذاب القبر – وإن كانوا في الماء – ؛ لأنَّ القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، وإمَّا عذابُ الآخرة ، والتعقيبُ لعدم الاعتداد بما بين الإغراق وإدخال النار من زمنٍ ؛ لاتصاله، وتحقق الإدخال لا محالةَ .

وتنكيرُ النَّارِ يحتمل غرضين : تعظيمهَا وتهويلهَا ، أو إفادة النوع ؛ لأنَّ الله تعالَى أعدَّ لهُم نوعًا من النَّارِ على حسبِ خطيئاتِهِم[4] .

رابعًا – (ثُمَّ) ، وهي " للترتيب في المعنى بانفصالٍ ، أي : يكون المعطوف بها لاحقًا للمعطوف عليه في حكمه ، متراخيًا عنه بالزمان "[5]، وقد جاءت في قوله جل جلاله : ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ

---

(1) سورة نوح – الآية : ١٠.

(2) محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق١٩٨/٢٩.

(3) سورة نوح – الآية : ٢٥.

(4) ينظر: الكوراني: غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني٢٤٤، وأبو السعود: مرجع سابق٤١/٩.

(5) ابن الناظم: شرحه على ألفية ابن مالك ٣٧٣.

وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾[1]، وهذه الآيات تدل على أَنَّ مَرَاتِبَ دَعْوَةِ نوح عليه السلام كَانَتْ ثَلاثًا متفاوتةً ، أولاها : الْمُنَاصَحَةَ فِي السِّرِّ ، فَعَامَلُوهُ بِالأُمُورِ الأَرْبَعَةِ المذكورة في الآية الأولى ، فانتقل إلى المرتبة الثانية ، وهي الْمُجَاهَرَةَ ، ولمَّا لم تُؤَثِّر جاء بالمرتبة الثالثة ، وهي الْجَمْعُ بَيْنَ الإِعْلانِ وَالإِسْرَارِ ، والملحوظ أنَّ " ثُمَّ دَالَّةٌ عَلَى تَرَاخِي بَعْضِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ عَنْ بَعْضٍ إِمَّا بِحَسَبِ الزَّمَانِ ، أَوْ بِحَسَبِ الرُّتْبَةِ ؛ لأَنَّ الْجِهَارَ أَغْلَظُ مِنَ الإِسْرَارِ ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الإِسْرَارِ وَالْجِهَارِ أَغْلَظُ مِنَ الْجِهَارِ وَحْدَهُ "[2] .

قال جار الله : " فإن قلت : ذكر أنَّهُ دعاهم ليلاً ونهارًا ، ثم دعاهم جهارًا، ثم دعاهم في السر والعلن ، فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف .

قلت : قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر : في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد ، فافتتح بالمناصحة في السر ، فلما لم يقبلوا ثَنَّى بالمجاهرة ، فلما لم تُؤَثِّر ثَلَّثَ بالجمع بين الإسرار والإعلان .

ومعنى ثُمَّ الدلالة على تباعد الأحوال ؛ لأنَّ الجهار أغلظُ من الإسرار ، والجمع بين الأمرين ، أغلظُ من إفراد أحدهما "[3] .

([1]) سورة نوح – الآيات : ٧ – ٩.

([2]) الفخر الرازي: التفسير الكبير٣٠/٦٥١.

([3]) الكشاف ٤/٦١٦.

واختار د/ محمد الأمين الخضري أن تكون (ثُـمَّ) للتراخـي الزمنـي لا الرتبي ، حين قال : " والتراخي الزمني هو الذي يشعر بطول معاناة نوح ، وشدة صبره على أذى قومه ، وهو أحبُّ إليَّ مـن القـول بـالتراخي الرتبي الذي ذهب إليه الزمخشري ... لقد فـرَّ جـار الله إلـى القـول بالتراخي الرتبي هروبًا من حقيقة (ثمَّ) المستوجبة الانقطاع بين أطـوار الدعوة ، ونحن نرى أنَّ المباعدة بحرف المهلة منظور فيها إلى بدايـة المرحلة ، وهي طويلة طويلة بالنظر إلى المرحلة التي تليهـا ، وهـي وحدها القادرة على نقل الإحساس إلى القارئ بطول المجاهـدة وشـدة المعاناة "[1] .

ونقف على الترتيب والتراخي في قوله ﷻ : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾[2]، فقد عطف جملة (يعيدكم) علـى جملـة (أنبتكم) بـ(ثُمَّ) " لما بين الإنشاء والإعادة من الزمان المتراخي الواقـع فيه التكليف الذي به استحقوا الجزاء بعد الإعادة ، وعطـف (يخـرجكم) بالواو دون (ثُمَّ) مع أنَّهُ كذلك ؛ لأن أحوال البرزخ والآخـرة فـي حكـم شيء واحد فكأنَّهُ قضية واحدة "[3] .

خامسًا – (**إذا الشرطية**) : ظرف لما يستقبل من الزمان ، متضـمّن معنـى الشرط ، مبنيٌّ على السكون في محلّ نصبٍ ، وناصبه فعـل الجـواب ؛ لأنها تقتضي جملتين مختلفتين تربط بينهما : أولاهما جملة الشرط ، ولا

([1]) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، ص ١٧٥، ١٧٦.

([2]) سورة نوح – الآيتان : ١٧، ١٨.

([3]) شهاب الدين الخفاجي: مرجع سابق٨/٢٥١.

بد أن تكون فعليةً ، وتكون في محلِّ جرٍّ ، مضافٌ إليه بإضافة (إذا) إليها، والأخرى جملة الجواب ، ولا محلَّ لها من الإعراب ؛ لكونها جوابًا لشرط غير جازم ، ونرى ذلك كله في قوله ﷻ : ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾[1]، وأسلوب الشرط بأركانه في محلِّ رفعٍ ، خبر (إنَّ) . وفي تلك الجملة الاسمية المؤكدة بـ(إنَّ) " حجة على المعتزلة والقدرية فيما يزعمون : أنَّ المقتول ميتٌ بغير أجله ، فالأجل المؤجل من الموت لا تقدم فيه ، ولا تأخر "[2] .

سادسًا – (**لو الشرطية**) : أداة غير جازمة " تقتضي جملتين : الأولى منهما مستلزمةٌ للثانية ؛ فالأولى شرط ، والثانية جواب ذلك الشرط . فإذا قلت : (لو قام زيدٌ لقام عمرٌو) ، فأنت قد أتيت بـ(لو) لتجعل قيام زيد يلزم من وجوده قيام عمرو"[3] .

وحذف جملة الجواب للعلم بها جائزٌ ، وقد جاء في قوله ﷻ : ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4] ، وهو مقدرٌ تقتضيه جملة الشرط وتستدعيه ، فهما متلازمان لا يقوم كيان هذا الأسلوب إلا بهما . قال أبو حيان : " وَجَوَابُ (لَوْ) مَحْذُوفٌ ، تَقْدِيرُهُ : لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لَبَادَرْتُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ وَتَقْوَاهُ وَطَاعَتِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْهُ تَعَالَى"[5] .

([1]) سورة نوح – من الآية : ٤.

([2]) محمد بن على الكَرَجي القصَّاب: مرجع سابق٤/٤٠٩.

([3]) أبو إسحاق الشاطبي: المقاصد الشافية٦/١٧٩.

([4]) سورة نوح – من الآية : ٤.

([5]) البحر المحيط ١٠/٢٨١.

والملحوظ في شرط (لو) أنَّهُ " جمع بين صيغتي الماضي والمضارع ؛ للدلالة على استمرار النفي المفهوم من (لو) ، ونفى العلم عنهم بجعلهم كالأنعام"[١] .

سابعًا – (**كُلَّمَا**) : حكمها حكم أداة الشرط في اقتضاء جملتين تترتب إحداهما على الأخرى ، وتفيد تكرار وقوع الجواب بتكرار وقوع الشرط ، ولا يليها من الأفعال إلا الفعل الماضي . قال أبو حيان : " المستقر من لسان العرب أن (كلما) هذه التي تقتضي التكرار لا يليها إلا فعل ماضي اللفظ ، والعامل فيها متأخر فعل ماض أيضًا ، ومن ادعى غير هذا من التركيب يحتاج إلى أن يستدل بسماع من العرب "[٢] .

والماضي " الواقع بعد (كُلَّمَا) يحتمل أن يراد به المضي ، كقوله تعالى : ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾[٣]، ويحتمل أن يراد به الاستقبال ، كقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[٤]..."[٥] .

وهي منصوبة على الظرفية الزمانية ، مركبة من (كلّ ، ومَا التوقيتية)، و" تدل على عموم الأوقات "[٦] ؛ لأنَّ " العرب لم تستعمل (ما) التوقيتية

---

(١) شهاب الدين الخفاجي: مرجع سابق٨/٢٤٨.

(٢) ارتشاف الضرب٤/١٨٩٠.

(٣) سورة المؤمنون – من الآية : ٤٤.

(٤) سورة النساء – من الآية : ٥٦.

(٥) ابن مالك: شرح التسهيل١/٣١.

(٦) ابن مالك : المرجع السابق١/٣٤٧.

إلا بمعنى العموم ، ثم دخلت عليها (كل) فأكدت معنى العموم الذي فيها ؛ فانتصبت على الظرف "[1] ، وصارت بمعنى : كلّ وقت .

وهذا ما نقف عليه في قوله ﷻ : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾[2] ، فأفادت (كُلَّما) بدلالتها على تكرار الجواب لتكرار الشرط أنَّ قوم نوحٍ عليه السلام كانت تتكرر معاملتهم نبيهم بهذه الأشياء الأربعة ما تَكَرَّرت دعوته : (جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ – وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ – وَأَصَرُّوا عَلَى إِعْرَاضِهِمْ – وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبارًا) ، وهي منصوبة على الظرفية الزمانية بـ(جَعَلُوا) ، وكأنَّ المعنى : جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبارًا كُلَّ وقتٍ دعَوْتُهُم فيه إلى عبادة الله ﷻ ، وقد " كانوا يفعلون ذلك مبالغة فى الإعراض عن سماع دعائه ، والنظر إليه "[3] . وتبدو المبالغة في التعبير بجعل الأصابع في الآذان كلَّما دعاهم نبيُّهم من أوجه:

أحدها : نسبة الجعل إلى كل الأصابع ، وهو منسوب إلى بعضها ، وهو الأنامل .

وثانيها : من حيث الإبهام في الأصابع ، والمعهود إدخال إصبع مخصوص هو السبابة فكأنهم من فرط إعراضهم يدخلون أيّ إصبع كانت في آذانهم ، ولا يسلكون المسلك المعهود .

([1]) ناظر الجيش: تمهيد القواعد٩/٤٤٢٨.

([2]) سورة نوح – الآية : ٧.

([3]) أمالي ابن الشجري ٩٨/١.

وثالثها : في ذكر الجعل موضع الإدخال ؛ فإن جعل شيء في شـــيء أدل على إحاطة الثاني بالأوّل من إدخاله فيه[١] .

ثامنًا – (**إن الشرطية**) ، و" تقتضي جملتين : شرطًا وجزاءً ، وإنَّما عملت الجزم ؛ لأنَّهُ أخفُّ وأحسن مع الإطالـــة "[٢] ، وإذا كـــان فعـــلا الشـــرط والجزاء مضارعين وجب جزمهما ، كما في قولـــه ﷻ : ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[٣]، وعلامة جـــزم الأول أصـــلية ، وهي السكون ، وعلامة جزم الثاني فرعية ، وهي حذف النون ، وجملة أسلوب الشرط في محل رفعٍ ، خبر (إنَّ) .

ولعلك وقفت على الدور الذي قامت به تلـــك الأدواتُ فـــي بُنَـــى الـــنص الظاهرية ، من ترابطٍ بين مفرداته وتراكيبـــه ، وتلاحـــمٍ بـــين جملـــه ، واتساقٍ بين مفاصله ، وتآزرٍ بين معالمه ، ما جعل النص كالشجرة ذات الأفنان .

*****

*

(١) ينظر: شهاب الدين الخفاجي: مرجع سابق ٣٩٨/١.

(٢) ابن الناظم: شرح التسهيل ٥٧/٤.

(٣) سورة نوح – الآية : ٢٧.

ثانياً – وسائل السبك المعجمي :

الوسيلة الأولى : (المصاحبة المعجمية)

وهي مجموعة من علاقات الربط القائمة بين المفردات في اللغة ، وقد تمثلت فيما يأتي :

(أ) - علاقة التضاد بين المعنيين في المواطن الآتية :

١- (لَيْلاً ونَهَارًا) في قوله ﷻ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾[١]، وجعل نوح عليه السلام دعوته مظروفةً في الليل والنهار ؛ لأنَّ الزمان منحصرٌ فيهما ، وهذا يدل على شيئين :

أحدهما : استمرار دعوة نوح عليه السلام قومه إلى عبادة الله والتقوى والطاعة من غير فتور ولا تراخٍ ولا توانٍ ، وعمومها جميع الأوقات[٢] .

والثاني : أَنَّهُ كان يَتَرَصَّدُ الْوَقْتَ الَّذِي يَتَوَسَّمُ أَنَّهُمْ فِيهِ أَقْرَبُ إِلَى فَهْمِ دَعْوَتِهِ مِنْهُمْ فِي غَيْرِهِ ، مِنْ أَوْقَاتِ النَّشَاطِ ، وَهِيَ أَوْقَاتُ النَّهَارِ ، وَمِنْ أَوْقَاتِ الْهُدُوءِ وَرَاحَةِ الْبَالِ ، وَهِيَ أَوْقَاتُ اللَّيْلِ[٣]، فكان يأتي باب أحدهم ليلاً فيقرع الباب ، فيقول صاحب البيت : من على الباب ؟ فيقول : أنا نوح ، قل : لا إِلَهَ إلا اللهُ[٤] .

---

(١) سورة نوح – الآية : ٥.

(٢) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٥/٣٧٣.

(٣) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق٢٩/١٩٤.

(٤) ينظر: إسماعيل حقي: روح البيان١٠/١٧٤.

- (أعلنت وأسررت) ، (جهارًا وإسرارًا) في قوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾[1]، وفي الجمع بين الحالة وضدها إشارة إلى عموم الدعوة لجميع الحالات ، وتنوع أساليبها ، واختلاف طرقها .

- (يعيدكم ويخرجكم) في قوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾[2]، وقد جمع بينهما ؛ للدلالة على أنَّهُ تعالى لمَّا كان قادرًا على الإنشاء من الأرض والإعادة فيها بالموت كان قادرًا على الإخراج منها يوم البعث . وأكد فعل الإخراج بالمصدر كما أكد فعل الإنشاء للدلالة على أن الإعادة بالبعث في التحقق مثل الإنشاء من الأرض[3] .

- في الجمع بين (أَطِيعُونِي ... عَصَوْنِي) في السورة دلالة على أنَّ طلب الطاعة الذي صَدَرَ من نوحٌ عليه السلام في بداية السورة مقدمةٌ استوفت جميع جوانبها ، وقامت على صحتها الدلائل الصادقة والبراهين القاطعة ، وجاءت نتيجتها في نهاية الأمر عكسية ، فأخبر بضد ما كان يرجوه منهم، وهو عصيانهم له .

- الجمع بين (الكافرين والمؤمنين) في السورة على ما هو معهود في القرآن الكريم من تقرير أنَّ الناس كانوا من أنبيائهم على فريقين: كافر

---

(1) سورة نوح – الآيتان : ٨ ، ٩.

(2) سورة نوح – الآية : ١٨.

(3) ينظر: محمد بن عبد الرحمن الإيجي: جامع البيان في تفسير القرآن٤/٣٧٩.

يستحق العقاب ، ومؤمن يستحق المغفرة ، كما جاء في قوله ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[1] .

وعلاقة التضاد بين المعنيين خفية في قوله ﷻ : ﴿ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾[2]، فإدخال النار ليس ضد الإغراق في المعنى ، ولكنه يستلزم ما يقابله ، وهو الإحراق ؛ فإنَّ من دخل النار احترق ، والاحتراق ضد الغرق[3] .

ومنها : التضاد بين السماء والأرض ؛ لتعلقهما بطرفين متقابلين ، وهما فوق وتحت .

(ب) - **علاقة الكلية في قوله** ﷻ : ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾[4] ، فعبر بالكل – وهو الأصابع – وأراد الجزء – وهو الأنامل – على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الكلية[5] ؛ فليس المراد بالأصابع معناها الحقيقي ، والقرينة : استحالة إدخال الأصابع كلها في الأذن عادةً ؛ فالمراد بها الأنامل التي هي أطراف الأصابع .

---

(1) سورة التغابن – من الآية : ٢.

(2) سورة نوح – من الآية : ٢٥.

(3) ينظر: عبد العزيز عتيق: علم البديع٨١.

(4) سورة نوح – الآية : ٧.

(5) ينظر: حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة٥/٩٥.

وسر العدول عن الحقيقة إلى المجاز هو إبراز رغبة هؤلاء القوم الشديدة في تعطيل حاسة السمع ؛ مبالغة منهم فى الإعراض عن سماع دعاء نبيهم والنظر إليه[١] .

(ج) - **علاقة المجاورة** بين المطر والسماء ؛ فالعرب تسمي الشيء باسم غيره إذا كان مجاورًا له ، أو كان منه بسببٍ ما ، كتسميتهم المطر بالسماء ؛ لأنَّهُ منها ينزل ، كما في قوله ﷻ : ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[٢]، أي : المطر[٣] .

(د) - **علاقة تسمية الشيء باسم ما سيكون عليه في** الزمن المستقبل ، في قوله ﷻ : ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٤]، أي : ولا يَلِدُوا إلاَّ مَوْلُودًا يَؤُول أَمْرُهُ إلى أن يكون فاجرًا كفّارًا بعد بلوغه ، والقرينة على ذلك مقالية ، وهي (يلدوا)[٥].

(هـ) - **علاقة تسمية الشيء باعتبار ما كان** ، وتُلمح في قوله ﷻ : ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[٦] ؛ فإيقاع فعل

---

(١) ينظر: ابن الشجري: مرجع سابق ٩٨/١.

(٢) سورة نوح – الآية : ١١.

(٣) ينظر: الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية ٢٢٥.

(٤) سورة نوح – من الآية : ٢٧.

(٥) ينظر: زين الدين الرازي: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل٥٤٠، وزكريا الأنصاري: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ٥٨٤.

(٦) سورة نوح – الآيتان : ١٧، ١٨.

الإنبات على المخاطبين قرينة دالة على أنَّ المراد بهذا اللفظ اعتبار ما كان ؛ لأنَّ هؤلاء المخاطبين خلقوا من نطف آبائهم ، وإنَّما خوطبوا بهذه الصورة من المجاز ؛ تذكيرًا لهم بالأصل حتى يدركوا قدرة الله ﷻ على البعث ، فخالق الإنسان من تراب قادر على أن يبعثه من جديدٍ .

(و) – **علاقة الاستعارة التبعية في موطنين** :

أولهما في قوله ﷻ : ﴿وَأَصَرُّواْ﴾[1] بمعنى : أَكَبُّوا وأقبلوا على الكفرِ والمعاصِي ، وهو مستعارٌ منْ أصرَّ الحمارُ على عانةِ الأتان إذَا أصرَّ أذنيهِ إلى رأسه وأقبلَ عليهَا يكدمها ويطردها طلبًا للسفاد .

شُبِّهَ إكبابهم وإقبالهم على الكفر والمعاصي بإصرار الحمار على عانةِ الأتانِ ، والجامع بينهما : كون كلّ منهما حالةً سيئةً ، ثم استعير الإصرارُ للإكباب والإقبال ، ثم اشتق من الإصرار بمعنى الإكباب أصَرَّ بمعنى أَكَبَّ ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية[2] .

والآخر في قوله ﷻ : ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾[3] أي : أنشأكم منها ، فاستعير الإنبات للإنشاء والإخراج من الأرض بواسطة آدم عليه السلام ؛ لأنَّهُ أدلُّ على الحدوث والتكون من الأرض ، وأصله : أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ إنباتًا فنبتم نباتًا ، فاختصره اكتفاء بالدلالة الالتزامية[4]؛ وذلك " لأنَّ

([1]) سورة نوح – من الآية : ٧.

([2]) ينظر: الزمخشري: مرجع سابق٦١٦/٤، وأبو السعود العمادي: مرجع سابق٣٧/٩.

([3]) سورة نوح – الآية : ١٧.

([4]) ينظر: ناصر الدين البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل٢٤٩/٥.

النبات يدل على الإنبات ونبتم التزامًا ... وهو من بديع البلاغة ، حيث بُنِيَ على غير فعله ؛ للتنبيه على تحتم القدرة وسرعة نفاذ حكمها ، حتى كان إنبات الله نفس النبات ؛ فقرن أحدهما بالآخر للدلالة على ما ذكر مع الإيجاز اللطيف ؛ فالدلالة الالتزامية هي دلالة (نباتًا) على (إنباتًا ، ونبتم) للزوم الإنبات وكونهم نبتوا له عقلاً وصناعة"[1] .

ولإجراء الاستعارة يقال : شبه الإنبات بالإنشاء بجامع الحدوث ، ثم استعير الإنبات للإنشاء ؛ لأنَّهُ أدلُّ على الحدوث والتكون من الأرض ، ثم اشتق من الإنبات بمعنى الإنشاء أنبت بمعنى أنشأ ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة أنَّ هؤلاء المخاطبين خلقوا من نطف آبائهم .

(ز) **علاقة الإحالة على مستوى المفردات** في السورة الكريمة جليةٌ ، وقد تمثلت في إحالة الفرع إلى الأصل ، ومنها :

١- إحالة الجمع إلى المفرد ، فقد أحالت تلك الجموع ، وهي (الظالمين - الكافرين - المؤمنين والمؤمنات - أطوار - سماوات - أصابع - آذان - ثياب - أموال - بنين - جنات - أنهار - آلهة - أنصار - عباد) إلى مفرداتها ، وهي : (الظالم - الكافر - المؤمن والمؤمنة - طور - سماء - إصبع - أُذُن - ثوب - مال - ابن - جنة - نهر - إله - نصير - عبد) .

([1]) شهاب الدين الخفاجي: مرجع سابق٨/٢٥١.

٢- إحالة صيغة المبني للمجهول إلى صيغة المبني للمعلوم ، فـ(لا يُؤَخَّرُ) في قوله : ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾[١] أحال إلى (يُؤَخِّرْكم) في قوله : ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[٢] ، وأحال (أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا) إلى الأصل ، وهو (أَغْرَقَ ، وأَدْخَلَ) .

٣- إحالة صيغة الكثرة في الحدث إلى القلة ؛ فـ " اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ، ثم نُقِلَ إلى وزنٍ آخر أكثر منه ، فلا بدَّ من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً ؛ لأنَّ الألفاظ أدلةٌ على المعاني، وأمثلةٌ للإبانة عنها ، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني...

وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة ... في سورة نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾[٣] ؛ فإنَّ (غَفَّارًا) أبلغ في المغفرة من (غافر) ؛ لأنَّ فَعَّالاً يدل على كثرة صدور الفعل ، وفاعلاً لا يدل على الكثرة "[٤] .

---

(١) سورة نوح – من الآية : ٤.

(٢) سورة نوح – من الآية : ٤.

(٣) سورة نوح – الآية : ١٠.

(٤) ضياء الدين بن الأثير: مرجع سابق٢/١٩٧، ١٩٨.

٤- إحالة اللفظ المغيَّر إلى أصله ، وفي الجدول الآتي بيان ذلك :

م	اللفظ المغيَّر	الأصل
١	مُبِينٌ	مُبْينٌ على وزن (مُفْعِل) اسم فاعل من (أَبَانَ) ، فاستثقلت الكسرة على حرف العلة ؛ فنُقِلت إلى الساكن الصحيح قبلها ، وهو الباء ، فاعتدل اللفظ ؛ لوقوع الياء بعد حركة مجانسة .
٢	اتَّقُوهُ	اوْتَقِيُوهُ ، فعل أمرٍ على وزن (افْتَعل) ، وفاؤه واو أصلية ، وقد حدث فيه تغييران : ١- أُبدلت الواو تاءً إبدالاً لازمًا فى اللغة الفصحى ، وأُدغمت هذه التاءُ فى تاء (افتعل) ؛ وذلك للابتعاد عن عسر النطق بحرف اللين الساكن مع التاء ؛ لما بينهما من قرب في المخرج ومنافاة في الصفة ؛ إذ حرف اللين مجهور ، والتاء مهموسة[١]. ٢- استثقلت الضمة على الياء ؛ فحذفت ، فصارت الياء ساكنة ، وبعدها واو الجماعة ساكنة ؛ فحُذفت الياء للتخلص من التقاء الساكنين ، وضمَّت القاف ؛ لمناسبة واو الجماعة .
٣	أَطِيعُونِي	أَطْيِعُونِي ، فعل أمر على وزن (أَفْعِل) ، فاستثقلت الكسرة على حرف العلة ؛ فنُقِلت إلى الساكن الصحيح قبلها ، وهو الطاء ، فاعتدل اللفظ ؛ لوقوع الياء بعد حركة مجانسة .

(١) ينظر: خالد الأزهري: مرجع سابق٢/٧٣٦.

٤	قال	قَوَلَ ، ماضٍ على وزن (فَعَلَ) ، فأوجبت العربية قلب الواو ألفًا ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها .
٥	يزدهم = يزد = تزد	(يَزْيِدُ ، تَزْيِدُ) على وزن (يَفْعِل ، تَفْعِل) ، استثقلت الكسرة على حرف العلة ؛ فنقلت إلى الساكن الصحيح قبلها ، وهو الزاي ، فصارت الياء ساكنةً ، ودخل الجازم (لَمْ ، لا الطلبية) ؛ فسكن آخر الفعل ، فالتقى ساكنان ؛ فحذفت الياء للتخلص من التقائهما ، فصار وزن الفعل (يَفِلْ ، تَفِل) .
٦	دُعائي	دُعَاوي ، تطرفت الواو إثر ألف زائدة ؛ فوجب قلبها همزة .
٧	آذَانِهم	أَأْذَان جمع أُذُن ، اجتمعت همزتان في أول اللفظ ، أولاهما مفتوحة والثانية ساكنة ؛ فوجب قلب الثانية حرف مد من جنس حركة الأولى ، وهو الألف .
٨	اسْتَغْشَوْا	اسْتَغْشَيُوا : ماضٍ مسند إلى واو الجماعة على وزن (استفعلوا) ، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا ، فالتقى ساكنان : الألف وواو الجماعة ؛ فحذفت الألف للتخلص من التقائهما ، فوزنه (اسْتَفْعَوْا) .
٩	ثِيابَهم	ثِوَابٌ : جمع على وزن (فِعَال) ، وقعت الواو عينًا لجمعٍ صحيحِ اللامِ وقبلها كسرةٌ وبعدها ألفٌ ، وهي في المفرد شبيهةً بالمُعَلَّةِ ؛ لكونها ساكنةً ، فوجب قلبها في الجمع ياءً .

١٠	أَصَرُّوا	أَصْرَرُوا : ماضٍ على وزن (أَفْعَلُوا) ، نقلت حركة الراء الأولى إلى الصاد ، ثمَّ أُدغِمت الراء الأولى الساكنة في الثانية .
١١	فَقُلْتُ	قَوَلْتُ : ماضٍ مسند إلى ضمير المتكلم على وزن (فَعَلْتُ) ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها ؛ فقلبت ألفًا ، وحُذِفت ؛ لالتقائها ساكنة مع لام الفعل الساكنة ؛ لاتصاله بضمير رفع متحرك ، وحُرِّكت الفاء بالضم ؛ للدلالة على الحرف المحذوف ، ووزنه (فُلْتُ) .
١٢	السَّمَاء	السماو ، تطرفت الواو إثر ألف زائدة ؛ فوجب قلبها همزة .
١٣	تَرْجُونَ	تَرْجُوُونَ على وزن (تَفْعُلُون) ، استثقلت الضمة على الواو فحُذفت ، فالتقى ساكنان لام الفعل وواو الجماعة ؛ فحذفت لام الفعل للتخلص من التقائهما ، فوزنه (تَفْعُونَ) .
١٤	تَرَوْا	تَرْأَيُوا على وزن (تَفْعَلُوا) ، نقلت حركة الهمزة إلى الراء الساكنة قبلها ، ثم حذفت الهمزة ؛ للتخفيف ، فصار (تَرَيُوا) ، فقُلبت الياء ألفًا ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وحذفت الألف ؛ لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة ، فوزنه (تَفَوْا) .

١٥	يُعِيدُكُمْ	يُؤَعْوِدُكُمْ : مضارع (أَعَاد = أَعْوَدَ) وهو أصل مهجور ، ووزنه (يُؤَفْعِلُكُمْ) ؛ حُذِفت الهمزة من المضارع المبدوء بالياء حملاً على حذفها من المضارع المبدوء بالهمزة الذي توجد فيه علة الحذف – وهي كراهية العرب اجتماع همزتين متحركتين في أول الفعل – ليجري مضارع الماضي المبدوء بهمزة قطع على طريقة واحدة ، ثم حدث إعلال بالنقل لاستثقال الكسرة على الواو ؛ فنقلت إلى الساكن الصحيح قبلها ، فصار إلى (يُعِوْدُكُمْ) ، فقلبت الواو ياءً ؛ لسكونها إثر كسرة ، فصار إلى (يُعِيدُكُمْ) .
١٦	عَصَوْنِي	عَصَيُونَي : ماضٍ مسند إلى واو الجماعة على وزن (فَعَلُوني)، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا ، فالتقى ساكنان : الألف وواو الجماعة ؛ فحذفت الألف للتخلص من التقائهما ، فوزنه (فَعَوْنِي) .
١٧	تَذَرُنَّ	تَذَرُونَنَّ ، بثلاث نونات : الأولى نون الرفع ، والثانية نون التوكيد الثقيلة ، وهي ثنتان ، فحُذفت نون الرفع ؛ للجازم (لا) الطلبية ، فصار اللفظ (تَذَرُونَّ)، فاجتمع ساكنان : واو الجماعة والنون الأولى ؛ فحُذفت الواو للتخلص من اجتماعهما .
١٨	أَضَلُّوا	أَضْلَلُوا : ماضٍ مسند إلى واو الجماعة على وزن (أَفْعَلُوا) ، نُقلت حركة اللام الأولى إلى الضاد قبلها ، فأُدغمت اللام الساكنة في اللام الثانية .

١٩	يَجِدُوا	يَوْجِدُوا على وزن (يَفْعِلُوا) ، وقعت الواو بين عدوتيها : ياء مفتوحة وكسرة ؛ فوجب حذفها .
٢٠	تَذَر	تَوْذَرُ على وزن (تَفْعَلُ) ، فليس فيه علة حذف الواو ؛ لكنَّهُ حُمِلَ على (يَدَعُ) في حذف الفاء ؛ لأنَّهُ مماثلٌ له في الدلالة . ويقال في الأمر : ذَرْ بمعنى : دَعْ أو اترُكْ . وماضيه مهجور في الاستعمال واسم فاعله ؛ للاستغناء عنه بـ(تَرَك) واسم فاعله ، فَلا يُقَالُ مِنْهُ : وَذَرَهُ ، وَلا يقال : وَاذِرٌ ، وَلَكِنْ يقال : تَرَكَهُ ، وَهُوَ تَارِكٌ[١]. قال الفيومي : " قَالُوا : وَأَمَاتَتِ الْعَرَبُ مَاضِيَهُ وَمَصْدَرَهُ ، فَإِذَا أُرِيدَ الْمَاضِي قِيلَ : تَرَكَ . وَرُبَّمَا اسْتُعْمِلَ الْمَاضِي عَلَى قِلَّةٍ ، وَلا يُسْتَعْمَلُ مِنْهُ اسْمُ فَاعِلٍ"[٢] .
٢١	دَيَّارًا	دَيْوَار : على وزن (فَيْعَال) ، اجتمعت الياء والواو في كلمة ، وسبقت إحداهما بالسكون ، فقلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء التي تليها . و(دَيَّار) مِنْ أَلْفَاظِ الْعُمُومِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي النَّفْيِ وَمَا أَشْبَهَهُ ، ومعناها (أَحَد)[٣] .

(١) ينظر: زين الدين الرازي: مرجع سابق(و ذ ر) .

(٢) المصباح المنير(و ذ ر) .

(٣) ينظر: أبو حيان الأندلسي: مرجع سابق١٠/٢٨٨.

٢٢	يُضِلُّوا	يُضْلِلُوا : مضارع مجزوم مسند إلى واو الجماعة على وزن (يُفْعِلُوا) ، نُقلت حركة اللام الأولى إلى الضاد قبلها ، فأُدغمت اللام الساكنة في اللام الثانية .
٢٣	يَلِدُوا	يَوْلِدُوا على وزن (يَفْعِلُوا) ، وقعت الواو بين عدوتيها : ياء مفتوحة وكسرة ؛ فوجب حذفها .

(ح) **علاقة رد العجز على الصدر** بادية في قوله ﷻ : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾[١]، ويراد بها في النثر : أنْ يَجْعَلَ المتكلِّمُ أحَدَ اللّفْظَيْنِ المكرَّرَينِ ، أو المتجانسَيْنِ ، أو مَا هو مُلْحقٌ بالمتجانِسَيْنِ من حيث الاشتقاق في أوّل الفقَرَة ، والآخر في آخِرِها[٢] .

وما في الآية الكريمة ملحق بالمتجانسين ؛ لتلاقيهما في الاشتقاق الأصغر؛ " فإنَّ (غفَّارًا ، واستغفروا) يرجعان لمادة واحدة ، وإنما جُعِلَ (استغفروا) أول الفقرة ، وإن كان أولها (فَقُلْتُ) ؛ لأنَّ المراد بالفقرة فى كلام نوح عليه السلام المحكي ، لا الحكاية "[٣] .

(ط) - **علاقة السَّجْع المُطَرَّف** التي ربطت بين كلمات عدة في السورة الكريمة ، و(السَّجْع الْمُطَرَّف) هو ما اختلفت فواصله في الوزن واتفقت في الحرف الأخير[٤]، فالكلمات (نَهَارًا ، فِرَارًا ، اسْتِكْبَارًا ، جِهَارًا ، إِسْرَارًا ، غَفَّارًا ، مِدْرَارًا ، أَنْهَارًا ، وقَارًا ، أَطْوَارًا) في قوله ﷻ : ﴿ قَالَ

---

(١) سورة نوح – الآية : ١٠.

(٢) ينظر: أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة ٣٥٨.

(٣) بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ٢٩٤/٢.

(٤) ينظر: يحيى العلوي: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز١٢/٣.

رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[1] مختلفات في الوزن متفقات في الحرف الأخير .

ونحوهنَّ : (خَسَارًا ، كُبَّارًا ، نَسْرًا) في قوله ﷻ : ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[2].

ومثلهنَّ : (أَنصَارًا ، دَيَّارًا ، كَفَّارًا ، تَبَارًا) في قوله ﷻ : ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[3].

*****

(1) سورة نوح – الآيات : ٥ – ١٤.

(2) سورة نوح – الآيات : ٢١ – ٢٣.

(3) سورة نوح – الآيات : ٢٥ – ٢٨.

الوسيلة الثانية : (التكرار)

وهو إعادة عنصر معجمي ما ، أو مرادفه ، أو شبهه ، أو عنصر عام يشمله[1]، ويتحقق على مستويات متعددة ، كتكرار الحروف ، والكلمات ، والجمل ، والفقرات .

ويعد التكرار من قبيل الإحالة إلى سابق ، فاللفظ الثاني المكرر يحيل إلى اللفظ الأول ، وبتعلق الألفاظ بعضها ببعض يتحقق السبك[2] .

وعلى هذا النحو تكررت مفردات بعينها في السورة الكريمة ، وحقَّقت سبكًا لها ، مثل :

١- فعل الحكاية بالقول (قال) الذي فاعله نوح عليه السلام : ذُكِر أربع مرات ، وقد أسند في اثنتين منها إلى الضمير المستتر العائد إلى نوح عليه السلام الذي تقدم ذكره في مستهل السورة ، وجُرِّدَ الفِعْلُ (قالَ) مِنَ حرف العطف ؛ " لأَنَّهُ حِكَايَةُ جَوَابِ نُوحٍ عَنْ قَوْلِ اللهِ لَهُ : (أَنْذِرْ قَوْمَكَ) . عُومِلَ مُعَامَلَةَ الْجَوَابِ الَّذِي يُتَلَقَّى بِهِ الأَمْرُ عَلَى الْفَوْرِ ... تَنْبِيهًا عَلَى مُبَادَرَةِ نُوحٍ بِإِبْلاغِ الرِّسَالَةِ إِلَى قَوْمِهِ ، وَتَمَامِ حِرْصِهِ فِي ذَلِكَ "[3] .

وأُسند فعل الحكاية في المرتين الباقيتين إلى الاسم الظاهر ، وسبب إعادته على ما يبدو طول الكلام بذكر مناجاة نوح لربه . وجاء الفعل الأول بلا واوٍ ، وجاء الثاني بواوٍ ؛ لأنَّ الأول استئنافٌ ، والثاني

---

(1) ينظر : محمد خطابي، مرجع سابق ص ٢٤، وعمر أبو خرمة: نحو النص ص ٨٣.

(2) ينظر: صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق٣٠.

(3) محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق١٩٣/٢٩.

معطوفٌ عليه . قال الكرماني : " قَوْله : ﴿قَالَ نوحٌ﴾ بِغَيْر وَاو ، ثُمَّ قَالَ : ﴿وَقَالَ نوحٌ﴾ بِزِيَادَة الْوَاو ؛ لأَنَّ الأول ابْتِدَاءُ دُعَاء ، وَالثَّانِي عطفٌ عَلَيْهِ"(١) .

٢- أعاد اللام الجارة بعد قوله : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾(٢)، فقال : ﴿ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾(٣)؛ إظهارًا للاهتمام ؛ لأن المتحرم بالإنسان له حق أكيد ، ولمَّا خصَّ في دعائه عَمَّ جميع أهل الإيمان ، وأعاد الجارَّ - أيضًا- على سبيل الاهتمام ، فقال : ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾(٤) في كل أمة من الأمم إلى آخر الدهر(٥).

ومن التكرار :

(**الترديد**) ، ويراد به " أن يُعَلِّق المتكلم لفظةً من الكلام بمعنى ، ثم يردها بعينها ويُعَلِّقها بمعنى آخر ، كقوله ﷻ : ﴿ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾(٦)؛ فالجلالة الأولى مضاف إليها ، والثانية

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ٢٤١.

(٢) سورة نوح – من الآية : ٢٨.

(٣) سورة نوح – من الآية : ٢٨.

(٤) سورة نوح – من الآية : ٢٨.

(٥) ينظر: إبراهيم بن عمر البقاعي: مرجع سابق٢٠/٤٥٩.

(٦) سورة الأنعام – من الآية : ١٢٤.

مبتدأ بها "[1] ، و" هو كثير دوره فى المنظوم والمنثور من كلام الفصحاء"[2] .

ونلفيه في السورة في المواطن الآتية :

– نوح عليه السلام : ذُكِرَ ثلاث مرات بصيغة الاسم الظاهر ، وهو في المرة الأولى مُرْسَلٌ ، أي : مُعَلَّقٌ بمعنى المفعولية ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا ﴾[3]، وفي الثانية والثالثة قائلٌ ، أي : مُعَلَّقٌ بمعنى الفاعلية ﴿ قَالَ نُوحٞ ﴾[4]، ﴿ وَقَالَ نُوحٞ ﴾[5].

– اسم الجلالة (الله عز وجل) : ذُكِرَ سبع مراتٍ بصيغة الاسم الظاهر ، وهو في المرة الأولى مطلوبٌ عبادته ، أي : منصوبٌ على التعظيم ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾[6]، وفي الثانية مضاف إليه الأجل الذي قَدَّرَهُ ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾[7] ، وفي الثالثة مجرورٌ باللام (للهِ) ، وفي الرابعة فاعل الخلق (خَلَقَ اللهُ) ، وفي الخامسة والسادسة مبتدأ به الكلام ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ

---

(1) ابن أبي الإصبع العدواني: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ٢٥٣.

(2) يحيى العلوي: مرجع سابق٣/٢٠٠.

(3) سورة نوح – من الآية : ١.

(4) سورة نوح – من الآية : ٢١.

(5) سورة نوح – من الآية : ٢٦.

(6) سورة نوح – من الآية : ٣.

(7) سورة نوح – من الآية : ٤.

ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾[1]، ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾[2]، وفي السابعة مضاف إليه ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾[3].

- قوم نوح عليه السلام : ذُكِر هذا اللفظ مضافًا إلى ضمير نوح عليه السلام أربع مرات، وهم في المرة الأولى المرسل إليهم ، وقد تعدى إليهم فعل الإرسال بـ(إلى) في قوله ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾[4]، وفي الثانية هم المُنذَرُون ، فالنصب على المفعولية ﴿ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ ﴾[5]، وفي الثالثة منادى مضاف إلى ياء المتكلم (يَا قَوْمِ) ، وفي الرابعة هم المدعوون ؛ فالنصب على المفعولية ﴿ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى ﴾[6].

وفي إيثار لفظ (قَوْمٍ) على غيره في خطاب نوح عليه السلام قومه ، وفي خطاب الأنبياء لأقوامهم " دليلٌ على أنَّ اسم القوم واقعٌ على الرجال والنساء ، وأنَّهُ لا يفرد به الرجال إلا بإرادته ذلك وإضماره ، لا أنَّهُ اسمٌ لا يقع إلا على الرجال فقط ، لإحاطة أنَّ نوحًا دعا الرجال والنساء إلى دينه "[7] .

---

(1) سورة نوح – الآية : ١٧.

(2) سورة نوح – الآية: ١٩.

(3) سورة نوح – من الآية : ٢٥.

(4) سورة نوح – من الآية : ١.

(5) سورة نوح – من الآية : ١.

(6) سورة نوح – من الآية : ٥.

(7) محمد بن على الكَرَجي القصَّاب: مرجع سابق٤/٤١٥.

فـ" الْقَوْمُ : الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَجْمَعُهُمْ مَوْطِنٌ وَاحِدٌ ، أَوْ نَسَبٌ وَاحِدٌ بِرِجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ"(١)، و" نِدَاؤُهُ بِلَفْظِ (يَا قَوْمِ) مُشْعِرٌ بِالتَّحَنُّنِ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّهُ مِنْهُمْ ، وَهُمْ مِنْهُ ، وَلِذَلِكَ أَضَافَهُمْ إِلَى نَفْسِهِ ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ : (يَا أَخِي ، وَيَا صَدِيقِي) ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِقَبُولِ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ ، بِخِلَافِ أَنْ لَوْ نَادَاهُ بِاسْمِهِ ، أَوْ بِالْوَصْفِ الْقَبِيحِ الصَّادِرِ مِنْهُ ... وَ(يَا قَوْمِ) مُنَادًى مُضَافٌ إِلَى يَاءِ المتكلم ، وقد حذفت واجتزئ بِالْكَسْرَةِ عَنْهَا ، وَهَذِهِ اللُّغَةُ أَكْثَرُ مَا فِي الْقُرْآنِ"(٢)، وقال النسفي : " أضافهم إلى نفسه إظهارًا للشفقة "(٣) .

– تردد لفظ الأرض ثلاث مرات ، في المرة الأولى جاء مجرورًا بـ(من)، وتعلقا بالفعل قبلهما ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾(٤)، وفي الثانية جاء منصوبًا على المفعولية ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴾(٥)، وفي الثالثة جاء مجرورًا بـ(على) ، وتعلقا بالفعل قبلهما ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾(٦).

– فعل الدعوة مسندًا إلى ضمير المتكلم ذُكِرَ ثلاث مرات . والغرض في المرة الأولى بيان أنه دعاهم في الأزمنة كلها ليلاً ونهارًا ، وفي الثانية

(١) محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق١٨٧/٢٩.
(٢) أبو حيان الأندلسي: مرجع سابق ٣٣٢/١، ٣٣٣.
(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل٥٤١/٣.
(٤) سورة نوح – الآية : ١٧.
(٥) سورة نوح – الآية : ١٩.
(٦) سورة نوح – الآية : ٢٦.

بيان أنه دعاهم لأجل أن يغفر الله لهم ، وفي الثالثة بيان أنه دعاهم بطرق مختلفة .

– فعل المغفرة تردد ثلاث مرات ، وهو في أولاها مضارع مجزوم مسند إلى ضمير الغيبة ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾[1]، وفي الثانية مضارع منصوب مسند إلى ضمير المخاطب ﴿ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾[2]، وفي الثالثة أمر سداسي مبني على حذف النون مسند إلى ضمير جماعة المخاطبين ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾[3] .

– فعل الزيادة تردد في السورة أربع مرات ، وقد اختلف مفعولاه في كل مرةٍ كما ترى : ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾[4]، ﴿ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾[5]، ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾[6]، ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[7] .

– فعل الجعل المتعدي إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر تردد مرتين بصيغة المضارع في قوله : ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[8]، فلم يقل

---

(1) سورة نوح – من الآية : ٤.

(2) سورة نوح – من الآية : ٧.

(3) سورة نوح – من الآية : ١٠.

(4) سورة نوح – من الآية : ٦.

(5) سورة نوح – من الآية : ٢١.

(6) سورة نوح – من الآية : ٢٤.

(7) سورة نوح – من الآية : ٢٨.

(8) سورة نوح – من الآية: ١٢.

: (ويجعل لكم جناتٍ وأنهارًا) ، بل " أعاد العامل ؛ للتأكيد والبسط ، لأنَّ المقام له" [1] .

وتردد هذا الفعل أربع مرات بصيغة الماضي : في المرة الأولى جملته تكررت بتكرر الشرط ؛ لأنَّها جواب لشرط غير جازم دال على التكرار ، وهو (كُلَّمَا) في قوله : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾[2]، ففي فعل الجعل ومفعوليه صورة متكررة بتكرر دعوة نوح عليه السلام لهؤلاء القوم ، وفي المرة الثانية والثالثة جاء بناء الكلام على نسق واحد : فعل الجعل يليه مفعولاه اللذان هما من آيات الله في الكون والحياة ، وكلاهما مفرد في قوله : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[3]، وكذلك جاءا في المرة الرابعة ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾[4] .

– وتردد فعل الترك (تَذَر) أربع مرات ، في ثلاث منها الفعل مسبوق بـ(لا) الطلبية ، وفي الرابعة مسبوق بـ(إن) الشرطية ، وهي :

قوله ﷻ : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[5] ، نهى رؤساؤهم عامتهم في المرة الأولى عن ترك عبادة الأصنام على العموم ، وفي المرة الثانية نهوهم عن ترك عبادة أعظمها على وجه الخصوص .

([1]) إبراهيم بن عمر البقاعي: مرجع سابق٢٠/٤٣٨.

([2]) سورة نوح – من الآية : ٧.

([3]) سورة نوح – الآية : ١٦.

([4]) سورة نوح – الآية : ١٩.

([5]) سورة نوح – الآية : ٢٣.

وقوله ﷻ : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾[1]، دعا نوح ربه بإهلاك قومه ؛ ليأسه منهم بعد أنْ أوحى اللهُ إليه أنَّهُ لن يؤمن من قومك إلا من قد آمَنَ .

وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ﴾[2]، فحصول مضمون الجواب – وهو الإضلال – في المستقبل معلقٌ على حصول مضمون الشرط – وهو تركهم – .

وترددت حروف المعاني ، واختلف المراد بها من مرة إلى أخرى غالبًا ، ومن ذلك :

– ترددت (إنَّ) في بداية كل خبر يُخبر به نوح عليه السلام ؛ لتوكيد تلك الأخبار، والاعتناء بشأنها ، والتنبيه على أهميتها ؛ لأنَّ الجملة المؤكدة بـــ(إنَّ) بمنزلة تكرار الجملة مرتين للتوكيد اللفظي .

وتنوع اسمها إلى اسم ظاهر ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ ﴾، وضمير متكلم ﴿إِنِّي ﴾، وضمير غائبين ﴿إِنَّهُمْ ﴾، وضمير غيبة ﴿إِنَّهُ ﴾، وضمير مخاطب ﴿ إِنَّكَ ﴾. وكان خبرها مفردًا مرة ﴿نَذِيرٌ ﴾، وجملة أو ما في حكمها في سائر المرات .

---

(1) سورة نوح – الآية : ٢٦.

(2) سورة نوح – من الآية : ٢٧.

- ترددت (من) الجارة سبع مرات ، واختلفت معانيها ، فكانت لابتداء غاية الإنذار في المرة الأولى ، وهي قوله ﷻ : ﴿ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

وتعددت الأقوال فيها في المرة الثانية ، وهي قوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾[2]؛ فقال الأخفش : مِنْ زائدة ، فمن أصوله النحوية المقرَّرة : جواز زيادة (مِنْ) في الإيجاب ؛ استنادًا لما ورد من السماع ، والتقدير : يغفر لكم ذنوبكم .

ولا يجوز عند الخليل وسيبويه وموافقيهم زيادة (مِنْ) في الإيجاب .

وقال قوم : هي لبيان الجنس ، وهذا ضعيف ؛ لأنَّهُ ليس هنا جنسٌ يُراد بيانه .

وقال آخرون : هي بمعنى (عن) ، أي : يصفح لكم عن ذنوبكم . وهذا غير معروف في معاني (من) .

وقال آخرون : هي لابتداء الغاية . وهذا قول ذو وجه ، كأنَّهُ يقول : يبتدئ الغفران من هذه الذنوب العظام التي لهم .

وقال آخرون : هي للتبعيض ، وهذا أبين الأقوال المذكورة ؛ وذلك أنَّهُ لو قال : (يغفر لكم ذنوبكم) لعَمَّ هذا اللفظُ ما تقدم من الذنوب وما تأخر عن إيمانهم ، والإسلام إنَّما يجبّ ما قبله ، فهي بعضٌ من ذنوبهم ، فالمعنى: يغفر لكم ذنوبكم السالفة ، وهي بعض الذنوب ، ولما كانت ذنوبهم التي

---

(1) سورة نوح – من الآية : ١.

(2) سورة نوح – من الآية : ٤.

يستأنفونها لا يجوز الوعد بغفرانها على الإطلاق ؛ إذ يجري ذلك مجرى الإباحة لها ، قيدت بهذا التقييد[١] .

وأفضل ما وقفت عليه في التماس تعليل لذلك ما قرَّره د/ محمد الأمين الخضري بقوله : " قد حصرت ما جاء فيه فعل المغفرة متعديًا إلى الذنوب بنفسه ، فوجدته قد وقع في القرآن سبع مرات ... وهي جميعًا خطابٌ للمؤمنين ... وما أوصل منه بـ(من) ثلاثة مواضع ، وكلها خطاب للكافرين ...

فهذا الاطراد في دخول (من) لدى خطاب الكافرين ، وإسقاطها في خطاب المؤمنين لا بد أن يكون وراءه غرض يهدف إليه النص الكريم ، وما ذلك إلا للتفرقة بين الخطابين ؛ لئلا يُسوى بين الفريقين في الوعد ؛ ولهذا فإنَّهُ في سورة إبراهيم ونوح والأحقاف حين كان الخطاب للكافرين وعدهم بمغفرة بعض الذنوب بشرط الإيمان ، وهو غفران ما بينه وبينهم لا مظالم العباد ؛ لأنَّ مقام الكافر مقام قبض لا بسط ؛ فلذلك لم يبسط رجاءه في مغفرة جملة الذنوب بخلاف مقام المؤمن ؛ فهو مقام البسط ، وفيوضات الرحمة والفضل "[٢] .

---

(١) ينظر: علي بن فَضَّال المجاشعي: النكت في القرآن الكريم ٥١٨، وابن عطية: مرجع سابق٥/٣٧٢.

(٢) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ٣٤٠، ٣٤١.

وجاءت لابتداء الغاية في المرتين : الثالثة ، وهي قوله : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾[1]، والرابعة ، وهي قوله : ﴿ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴾[2]، وكانت للتعليل في مستهل قوله : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴾[3]، ولبيان الجنس في آخره ، وأفادت بيان الجنس في المرة الأخيرة ، وهي قوله : ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[4] .

- ترددت (إلى) مرتين ، وكانت في أولاهما ، وهي قوله ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾[5] دالَّةً على انتهاء الغاية في غير الزمان والمكان ، وفي الأخرى ، وهي قوله ﷻ : ﴿ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾[6] دالَّةً على انتهاء الغاية في الزمان .

ومن التكرار :

(**مجيء الجمل على نسقٍ واحدٍ في التأليف**) ، وقد تكررت جمل في السورة الكريمة على نمطٍ واحدٍ مع اختلاف في بعض ألفاظها ، وهذا نجده في المواطن الآتية :

---

(1) سورة نوح – الآية : ١٧.
(2) سورة نوح – الآية : ٢٠.
(3) سورة نوح – من الآية : ٢٥.
(4) سورة نوح – من الآية : ٢٦.
(5) سورة نوح – من الآية : ١.
(6) سورة نوح – من الآية : ٤.

١-﴿ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾[١]، الجملتان المتقابلتان تأليفهما واحد ، فالفعل مزيد بالهمزة ، وفاعله متصل به ، وهو ضمير المتكلم ، يليه الجار والمجرور المتعلق به (لهم) ، فالمفعول المطلق المؤكد لعامله ، وقد حذف من الأولى لدلالة مقابله في الثانية عليه ، والتقدير : أعلنت لهم إعلانًا ، وأسررت لهم إسرارًا .

٢-﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾[٢]، نلحظ في الآية بناء التركيبين على نمطٍ واحد : فعل الجعل ، يتلوه المفعول الثاني (لَكُم) مقدمًا على الأول (جَنَّاتٍ ، أَنْهَارًا) ؛ لأنَّ أصلهما المبتدأ والخبر ، وتقديم الخبر فيهما على المبتدأ قبل دخول الناسخ واجبٌ ؛ ليسوغ الابتداء بالنكرة ، فاختلف الترتيب مع الاحتفاظ بالرتبة .

٣-﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[٣]، وهنا جاء مفعولا (جعل) على الترتيب الأصلي للجملة مع توسيط الجار والمجرور بينهما ، وهو محذوف في الجملة الثانية لدلالة الموجود في الأولى عليه ، والتقدير : وجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نورًا وجَعَلَ الشَّمْسَ فِيهِنَّ سراجًا .

٤-﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[٤]، فـ(لا) الناهية في مستهل الجملتين ، وبعدها الفعل مسندًا إلى واو الجماعة المحذوفة للتخلص من التقاء الساكنين مؤكدًا بالنون الثقيلة ، يليه

---

(١) سورة نوح – من الآية : ٩.

(٢) سورة نوح – من الآية : ١٢.

(٣) سورة نوح – الآية : ١٦.

(٤) سورة نوح – من الآية : ٢٧.

المفعول به ، وهو معبوداتهم من دون الله ، وإن كان المفعول في الأولى عامًّا ، وفي الثانية خاصًّا .

٥- قوله ﷻ : ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾[١]، وقوله ﷻ : ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[٢]، فقد تماثلت الجملتان أركانًا وبنيانًا (الواو العاطفة + لا الدعائية + الفعل المجزوم بها + فاعله ضمير المخاطب المستتر وجوبًا + المفعول به الأول + إلا الاستثنائية الملغاة + المفعول الثاني) .

وما دعا به نوح عليه السلام على قومه في الموضعين مختلف ، ووجهه : أنَّهُ عليه السلام لما ذكر أولاً عصيان قومه له ، وقولهم : ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾[٣] إلى قوله : ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾[٤]، أردف هذا بما يناسبه من الدعاء في زيادة ضلالهم ، ولم يدع هنا بهلاكهم .

والآية الثانية تقدمها دعاؤه عليه السلام بهلاكهم ، وأخذهم في قوله : ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[٥]، فأتبع ذلك بما يناسب فقال : ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[٦]، أي : هلاكًا[٧] .

---

(١) سورة نوح – من الآية : ٢٤.

(٢) سورة نوح – من الآية : ٢٨.

(٣) سورة نوح – من الآية : ٢٣.

(٤) سورة نوح – من الآية : ٢٤.

(٥) سورة نوح – من الآية : ٢٦.

(٦) سورة نوح – من الآية : ٢٨.

(٧) ينظر: أحمد بن إبراهيم الغرناطي: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل٢/٤٨٣.

فختم الدعاء الأول بـــ (ضَلالاً) ؛ موافقةً لقوله قبـــلُ ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ ، وختم الدعاء الثاني بـــ (تَبَارًا) أي : هلاكًا ؛ موافقةً لقوله قبلُ ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ ، فَذكر فِي كل مَكَان مَا اقْتَضَاهُ معنى الكلام[1] .

و(أل) في (الظالمين) للعهد ، وهم قوم نـــوح عليه السلام الـــذين آيـــس مـــن إيمانهم[2] .

ومن تكرار التركيب على نسق واحد :

(**مجيء أسلوب الاستثناء المفرغ في السورة غير مرة**) ، و" الاستثناء المفرغ هو : أن لا يذكر المستثنى منه ، ويكون العامل السابق لـــ(إلا) طالبًا لما بعدها ، إما خبرًا ، نحو : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾[3]، أو فاعلاً ، نحـــو : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ ﴾[4]، أو نائبًـــا عنـــه ، نحـــو : ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[5]، أو مفعولاً ، نحـــو : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾[6]، أو

---

(1) ينظر: زكريا الأنصاري: مرجع سابق٥٨٣.

(2) ينظر: الكوراني: مرجع سابق٢٤٣.

(3) سورة آل عمران – من الآية : ١٤٤.

(4) سورة يونس – من الآية : ٨٣.

(5) سورة الأحقاف – من الآية : ٣٥.

(6) سورة النساء – من الآية : ١٧١.

متعلقًا ، نحو : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1]، أو حالاً ، نحو : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[2].

وحكمه : أن تُجعل (إلاّ) بمنزلة المعدومة ، ويُعطى الواقع بعدها من الإعراب ما يستحقه لفظًا أو محلاً لو لم توجد (إلا) ، ولا يقع التفريغ إلاّ في غير الإيجاب ، كما مُثّل"[3]، وغير الموجب هو المسبوق بنفي ، أو نهي ، أو استفهام . ودونك مواطنه في السورة الكريمة :

١- ﴿ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾[4].

٢- ﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴾[5].

٣- ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴾[6].

٤- ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ﴾[7].

٥- ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾[8].

---

(1) سورة العنكبوت – من الآية : ٤٦.

(2) سورة البقرة – من الآية : ١٠٢.

(3) ابن قيم الجوزية: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك١/٣٨٩، ٣٩٠.

(4) سورة نوح – الآية : ٦.

(5) سورة نوح – الآية : ٢١.

(6) سورة نوح – من الآية : ٢٤.

(7) سورة نوح – الآية : ٢٧.

(8) سورة نوح – من الآية : ٢٨.

فما في الآيات استثناءٌ مفرغ ؛ لأنَّ ما قَبل (إلا) مفتقر إلى مـــا بعـــدها . ففعل الزيادة المسبوق بنفي أو دعاء مفعوله الثاني ما بعد (إلا)، ولا يتم المراد إلا به.

وفعل الولادة المسبوق بنفي مفتقر إلى مولود ، وهو الواقع بعـــد (إلا) ، ولا يتم الكلام إلا بالمفعول به .

والملحوظ أنَّ هَذه الأشياء التي بعد (إلا) تَجْرِي في الإعراب مَجْرَاها فـــي هذه الأقوال : (زادهم دعائي فرارًا ، اتبعوا من زاده ماله وولده خسارًا ، زد الظالمين ضلالاً ، ويلدوا فاجرًا كفارًا ، زد الظالمين تبارًا) فالأَسْـــمَاء مَحْمُولَةٌ على أفعالها ؛ وَإِنَّمَا احتيج إِلَى النَّفْي وَالاسْـــتِثْنَاء ؛ لأَنَّ الكـــلام بدونه يحتمل أَن يكون مَعَ هذه الأشياء غَيرُهـــا ، فَـــإِذا جـــيء بـــالنفي والاستثناء نفيت جميع الأشياء غير ما بعد (إلا) .

*****

*

□

المعيار الرابع :

الحبك (أو الانسجام أو الالتحام)

وهو ترابط بُنَى النص العميقة وتماسكها ، فتتماسك المفردةُ مع جارتها ، والجملةُ مع الجملة ، والفقرةُ مع الفقرة الأخرى ، والآية الكريمة مع ما يسبقها وما يلحقها ، والسورة الكريمة مع ما يسبقها وما يليها[1] .

والربط المعنوي (أو البياني) الذي تقوم عليه الجمل ، ويعمل على تجاذب أجزاء النص ، ويعتبر أحد عوامل الانسجام القوية للخطاب ، على نوعين:

النوع الأول : ربط أساسي في الجملة

ويتمثل في تصور العلاقات في الأبواب النحوية على النحو الآتي[2] :

أ – (**علاقة الإسناد**) ، وهي العلاقة القائمة بين المبتدأ والخبر المفرد في الجملة الاسمية ، وبين الفعل والفاعل ، وبين الفعل والنائب عن الفاعل ، وبين كل ما يعمل عمل الفعل وفاعله أو نائب فاعله ، كالمصدر ، والمشتقات ، واسم الفعل ، وغير ذلك من علاقات الإسناد الحقيقي أو المجازي .

---

(1) ينظر : بشرى حمدي ، ووسن عبد الغني : مرجع سابق١٩٢.

(2) ينظر: د/ مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية١٦٣.

وتُلفي في قوله ﷻ : ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾[1] مجازًا عقليًّا ، بإسناد فعل زيادة الفرار إلى غير ما هو له في الحقيقة ، وهو الدعاء ، مع أنَّ الدعاء لم يفعل شيئًا من ذلك ، لكنهم " لَمَّا ازْدَادُوا إِعْرَاضًا وَنِفَارًا عَنِ الْحَقِّ ، جَعَلَ الدُّعَاءَ هُوَ الَّذِي زَادَهُمْ ؛ إِذْ كَانَ سَبَبَ الزِّيَادَةِ "[2]، و" جاز أن يكون الدعاء إلى الحق يزيد الناس فرارًا منه ؛ للجهل الغالب على النفس ، فتارة يدعو إلى الفرار مما نافره ، وتارة يدعو إلى الفساد الذي يلائمه ويشاكله "[3] .

فتلحظ أنَّ علاقة المجاز العقلي بين الفعل والفاعل هي السببية ، وأنَّ القرينة المانعة من إرادة ظاهر الإسناد معنوية ، وهي استحالة صدور المسند من المسند إليه . ولهذا نظائر في الذكر الحكيم ، منها ما تقف عليه في قوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[4] .

ب – (**علاقة التعدية**) ، وهي العلاقة القائمة بين الفعل المتعدي والمفعول به . وقد تعدد المفعول به في السورة الكريمة على النحو الآتي :

---

(1) سورة نوح – الآية : ٦.

(2) أبو حيان الأندلسي: مرجع سابق ١٠/٢٨١.

(3) ابن فورك الأصبهاني: مرجع سابق ٣/٥١.

(4) سورة التوبة – الآيتان : ١٢٤ ، ١٢٥.

١ – جاء نوح عليه السلام ، وضميره العائد إليه ، ومتعلقاته (المؤمنون بـــه – بيته) مفعولاً به خمس مرات .

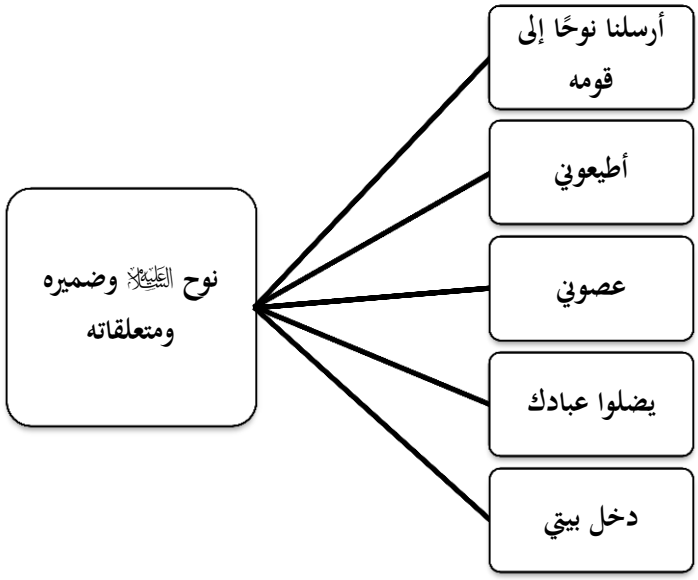

٢ – جاء قوم نوح عليه السلام ، وضمائرهم العائدة إليهم ، ومتعلقاتهم مفعـــولاً به مرات جاوزت العشرين .

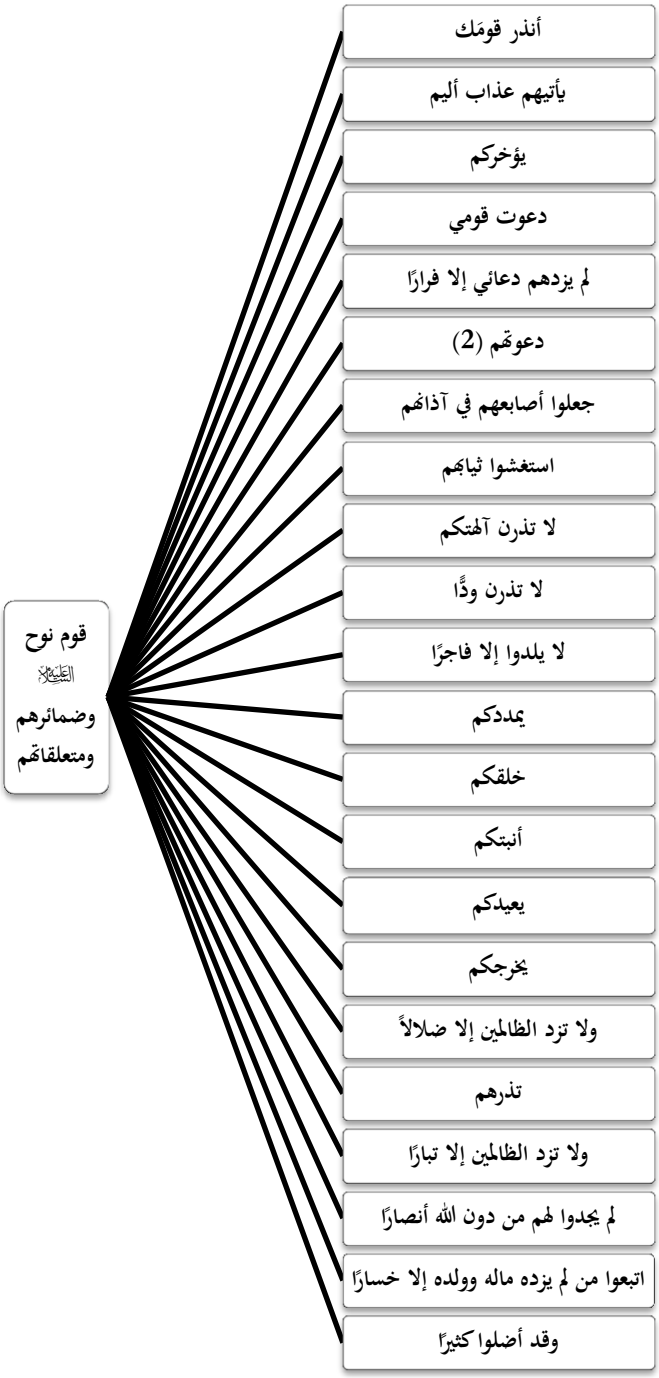
قوم نوح عليه السلام وضمائرهم ومتعلقاتهم
أنذر قومَك
يأتيهم عذاب أليم
يؤخركم
دعوت قومي
لم يزدهم دعائي إلا فرارًا
دعوتهم (2)
جعلوا أصابعهم في آذانهم
استغشوا ثيابهم
لا تذرن آلهتكم
لا تذرن ودًّا
لا يلدوا إلا فاجرًا
يمددكم
خلقكم
أنبتكم
يعيدكم
يخرجكم
ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً
تذرهم
ولا تزد الظالمين إلا تبارًا
لم يجدوا لهم من دون الله أنصارًا
اتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارًا
وقد أضلوا كثيرًا

ولعلك لحظت معي الآتي :

– أنَّ فعل الإرسال ، قد تعدى إلى المفعول الأول بنفسه ، وتعدى إلى الثاني بحرف الجر (إلى) .

– أنَّ فعلي الزيادة (يَزِدْ ، وتَزِدْ) تعدَّيا إلى مفعولين ، ليس أصلهما المبتدأ والخبر ، أربع مرات في السورة الكريمة ، وهما :

(ضمير جماعة الغائبين المتصل بالفعل ، وفرارًا) ، (الظالمين ، وضلالاً) ، (الظالمين ، وتبارًا) ، (ضمير الغائب المتصل بالفعل ، وخسارًا) .

– أنَّ فعل التصيير (جعل) قد تعدى إلى مفعولين ، أصلهما المبتدأ والخبر (أصابعهم في آذانهم) .

– أنَّ قوله ﷻ : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ تعبير كنائي ، وبيانه أنَّهُ " كَنى عن الرؤساء بقوله ﷻ : ﴿ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴾[1] ، كما يُكنى عن الإنسان بقولهم : (حيٌّ مستوي القامة عريض الأظفار) ؛ لأنَّهُ صفة لازمة ، أي : كاشفة موضحة ، فنفى عنهم جميع وجوه الأرباح والمنافع ، وأثبت لهم الخسار "[2] .

– أنَّ فاعل الإضلال في قوله : ﴿ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ ﴾[3] هو : الرؤساءُ ، أو الأصنامُ ، وجَاء معها بضمير جَمْع العقلاءِ معاملةً لهم معاملةَ العقلاء[4] .

([1]) سورة نوح – من الآية : ٢١.

([2]) الطيبي : مرجع سابق ٣٨/١٦.

([3]) سورة نوح – من الآية : ٢٤.

([4]) ينظر: السمين الحلبي: مرجع سابق ٤٧٥/١٠.

٣ – جاء اسم الجلالة (الله) ، والضمائر العائدة إليه ، ومخلوقاته في موقع المفعول به عشر مرات .

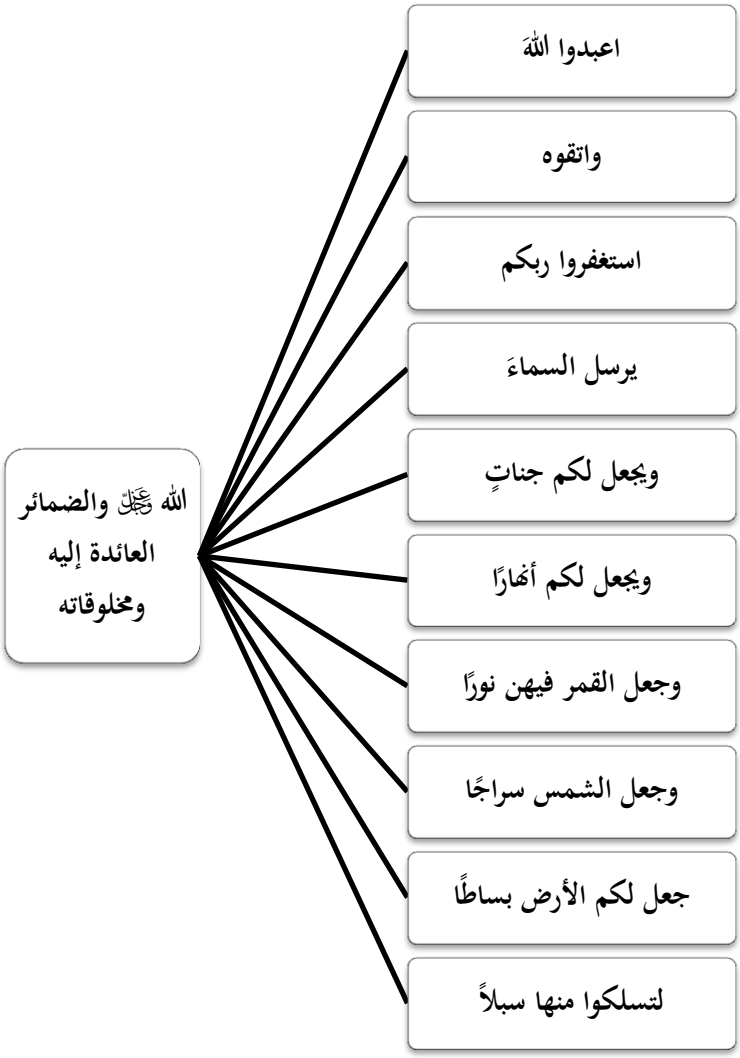

ولعلك وقفت على أنَّ الفعل (جَعَلَ) الذي بمعنى (صَيَّرَ) قد تعدَّى إلى مفعولين ، أصلهما المبتدأ والخبر غير مرة في السورة الكريمة ، وتحديدهما مما لا يخفى .

٤ – جاء (وَقَارٌ) مفعولاً به في قوله ﷻ : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾[١] .

ج – (**علاقة الإضافة**) ، وهي العلاقة القائمة بين المضاف والمضاف إليه، فهناك تلازمٌ بينهما ، وكلاهما يستدعي الآخر ولا يوجد بدونه ؛ فهما كالشيء الواحد .

وقد جاءت الإضافة في السورة الكريمة إضافة محضة ، وهي بمعنى اللام ؛ فقد أضيف إلى نوح عليه السلام كل من : القوم والربّ والدعاء والوالدين والبيت ، وأضيف إلى قوم نوح عليه السلام كل من : الذنوب والأصابع والآذان والثياب والربّ والآلهة والخطيئات ، وأضيف إلى الله ﷻ أو الرب كل من: الأجل ودون والعباد ، وأضيف إلى ضمير (من) الموصولة كل : من المال والولد .

وأضيف إلى السماوات لفظ (سبع) ، وإضافته بمعنى (من) .

د – (**علاقة الملابسة**) ، وهي العلاقة القائمة بين الحال وصاحبها . فالحال تبين هيئة صاحبها ، وهما متلازمان ، لا يوجد أحدهما دون الآخر.

ونقف عليها في المواضع الآتية :

١– في قوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾[٢] جاء المصدر في موقع الحال المبينة لهيئة الفاعل ، أي : دعوتُهم مجاهرًا .

---

(١) سورة نوح – الآية : ١٣.

(٢) سورة نوح – الآية : ٨.

٢- في قوله ﷻ : ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[١] جاءت صيغة المبالغة (مِفْعَال) حالاً مبينة لهيئة المفعول به ، ولم تُؤَنَّثْ ؛ لأنَّ مِفْعالاً لا يُؤَنَّثُ ، تقول : (امرأةٌ مئنْاثٌ ومِذْكارٌ) ، وحينئذٍ يَستوي فيه المذكرُ والمؤنثُ . ولا يُؤَنَّثُ بالتاءِ إلاَّ نادرًا[٢] .

٣- في قوله ﷻ : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[٣] جاءت الجملة في موضع النصب على الحال المبينة لهيئة صاحبها المجرور باللام ، وهو ضميرِ المخاطبينَ ، والعاملُ فيهَا مَعْنَى الاستقرارِ في (لكُم) ، والتقدير : أيُّ شيءٍ استقرَّ لكم لا ترجون عظمةً لله ، أي : " لا تخافون ولا تُبالون"[٤]، وعن مجاهدٍ والضحَّاكِ : ما لكُم لا تُبالونَ لله عظمةً . قال قُطْربٌ : هيَ لغةٌ حجازيَّةٌ ، يقولونَ : لم أَرْجُ ، أيْ : لم أُبالِ[٥] .

٤- في قوله ﷻ : ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[٦] جاءت الجملة في موضع النصب على الحال المبينة لهيئة الفاعل ، فهي " جملةٌ حاليةٌ مِنْ فاعلِ (تَرْجُون). والأَطْوارُ : الأحوالُ المختلفةُ "[٧]، والمعنى : " والحالُ أنَّكم على حالٍ منافيةٍ لما أنتُم عليهِ بالكليةِ ، وهيَ أنَّكم تعلمونَ أنَّهُ تعالَى

---

(١) سورة نوح – الآية : ١١.

(٢) ينظر: السمين الحلبي: مرجع سابق١٠/٤٦٩.

(٣) سورة نوح – الآية : ١٣.

(٤) العين (ر ج و).

(٥) ينظر: أبو السعود العمادي: مرجع سابق٩/٣٩.

(٦) سورة نوح – الآية : ١٤.

(٧) السمين الحلبي: مرجع سابق١٠/٤٧١.

خلقَكُم تاراتٍ عناصرَ ، ثم أغذيةً ، ثم أخلاطًا ، ثم نطفًا ، ثم علَقًا ، ثم مُضَغًا ، ثم عظامًا ولحومًا ، ثم أنشأكم خلقًا آخرَ؛ فإنَّ التقصيرَ في توقير من هذه شئونه في القدرةِ القاهرةِ والإحسانِ التامِّ مع العلمِ بها – مِمَّا لا يكادُ يصدُرُ عن العاقلِ "[1] .

٥- في قوله : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾[2] جاءت صيغة اسم الفاعل منصوبة على الحال ، وهذه الحال قيدٌ في الدعاء أخرج امرأة نوح عليه السلام ، وأخرج ابنه كنعان ، ولم يجزمْ نوح عليه السلام بخروجه إلا بعدَ ما قيلَ له : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ . والمراد بـ(بيتي) : مَنزلِي ، وقيلَ : مسجدِي ، وقيل : سَفينتي[3] .

هـ- (**علاقة الظرفية**) ، وهي العلاقة القائمة بين الفعل والظرف بنوعيه الزماني والمكاني ؛ فالفعل وما في معناه يقع في زمان أو في مكان ، ونلحظ ذلك في المواطن الآتية :

١- في قوله ﷻ : ﴿ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾[4] جاء ظرف الزمان (ليلاً) منصوبًا على أنَّهُ مفعولٌ فيه ، و(نهارًا) منصوبًا بالعطف عليه ، وَالْعَامِل فيهمَا : الفعل (دَعَوْتُ) .

---

(1) أبو السعود العمادي: مرجع سابق٩/٣٨.

(2) سورة نوح – من الآية : ٢٨.

(3) أبو السعود العمادي: مرجع سابق٩/٤٢.

(4) سورة نوح – من الآية : ٥.

٢- في قولـــه ﷻ : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾[١] جاءت (كُلَّمَا) مفعولاً فيه ، فهي ظرف زمان منصوب ، وَالْعَامِل فِيهِ فعل الجواب (جَعَلُوا) .

٣- في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾[٢] جاءت (إذا) مفعولاً فيه ؛ فهي ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط ، مبني في محل نصب ، والعامل فيه فعل الجواب (لا يُؤَخَّرُ) .

وتلحظ علاقة الظرفية بين الفعل والمجرور بالحرف إذا كـــان دالاً علـــى ابتداء الغاية في الزمان ، كما في قوله ﷻ : ﴿ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣]، فقد جاءت (قبل) مجرورة بـــ(مِنْ) ، وأعربـــت ؛ لأنَّهـــا مضافة إلى المصدر المؤول من (أَنْ) وصلتها ، و(مِن) دالة على ابتـــداء الغاية ؛ فنوح ﷺ مأمورٌ بإنذار قومه في وقت متقدم قبل إتيان العـــذاب الأليم ، وفيه وجهان : أحدهما : أنَّهُ عذاب النار في الآخرة , والثـــاني : أنَّهُ عذاب الدنيا , وهو ما ينزل عليهم بعد ذلك من الطوفان[٤].

كما تلحظ هذه العلاقة إذا كان الحرف الموصل معاني الأفعال إلى الأسماء دالاً على الظرفية الحقيقية أو المجازية ، وهو (فـــي) فـــي قولـــه ﷻ :

---

(١) سورة نوح – الآية : ٧.

(٢) سورة نوح – من الآية : ٤.

(٣) سورة نوح – من الآية : ١.

(٤) أبو الحسن الماوردي: مرجع سابق٦/٩٨.

﴿ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ ﴾[1]، وقوله ﷻ : ﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾[2]، وقوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾[3] .

و – (علاقة التحديد) ، وهي العلاقة القائمة بين الفعل والمفعول المطلق المبين للنوع أو العدد . وقد جاءت في المواضع الآتية :

١– في قوله ﷻ : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾[4] جاء بيان النوع عن طريق وصف المصدر (مكرًا) بصيغة المبالغة الساعية (كُبَّارًا) ، " وذلكَ احتيالُهُم في الدِّينِ ، وصدُّهم للناس عنه ، وتحريشهم لهم فى أذيةِ نوحٍ عليه السلام "[5]، وهو بناءُ مبالغةٍ أبلغُ مِنْ بناء (كُبَار) بالضمِّ والتخفيف ، قال عيسى بن عمر: هي لغةٌ يمانيةٌ"[6]، ويؤكد ذلك ما " يروى أنّ أعرابيًّا سمع النبي ﷺ يقرأ : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴾ فقال : ما أفصحَ ربَّك يا محمدُ! وهذا من جفاء الأعراب ؛ لأنّ الله تعالى لا يوصف بالفصاحة "[7].

٢– في قوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴾[8]، فمن الأوجه الجائزة في (جِهَارًا) : أَنْ يكونَ منصوبًا على المفعولية المطلقة ؛ لدلالته على نوع

---

(1) سورة نوح – من الآية : ٧.

(2) سورة نوح – الآية : ١٦.

(3) سورة نوح – الآية : ١٨.

(4) سورة نوح – الآية : ٢٢.

(5) أبو السعود العمادي: مرجع سابق٩/٤٠.

(6) ينظر: السمين الحلبي: مرجع سابق١٠/٤٧٣.

(7) إسماعيل بن محمد الأصبهاني: إعراب القرآن٤٧٣.

(8) سورة نوح – الآية : ٨.

المصدر؛ لأنَّ الدعاءَ يكونُ جهارًا وغيرَه ، فهو من باب (قَعَدَ القُرْفُصاءَ)، والتقدير : دعوتُهم دعاءَ جِهارٍ ، وأَنْ يكونَ نعتًا لمصدرٍ محذوفٍ ، والتقدير : دعوتُهم دعاءً جِهارًا[1] .

٣- في قوله ﷻ : ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[2]، فمن الأوجه الجائزة في (مِدْرَارًا) أَنْ تكونَ نعتًا لمصدرٍ محذوفٍ ، والتقدير : يرسل السماءَ عليكم إرسالاً مِدْرارًا[3] .

ز – (**علاقة السببية**) ، وهي العلاقة القائمة بين الفعل والمفعول لأجله . وقد جاءت علة صدور الفعل عن صاحبه مجرورة بحرفي التعليل (اللام ، ومن) على سبيل الوجوب في السورة ؛ لفقدان بعض شروط جواز النصب ، وهذه الشروط هي : (كونه مصدرًا ، كونه قلبيًّا : من أفعال النفس الباطنة ، كونه علة للفعل ، اتحاد وقت الفعل والمصدر ، اتحاد فاعل الفعل والمصدر) .

فالمخاطبون في قوله : ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[4] علة كون نوح نذيرًا موصوفًا بالإبانة ، وجاء ضميرهم في محل جر بلام التعليل ؛ لكونهم ليسوا مصدرًا ، والتقدير : إنِّي نَذِيرٌ مُبينٌ لأجل نفعكم من غير أن أسألكم عليه أجرًا . ويحتمل أن تكون اللام مقوية للعامل الضعيف بسبب الفرعية

---

(1) ينظر: السمين الحلبي: مرجع سابق ١٠/٤٦٩.

(2) سورة نوح – الآية : ١١.

(3) ينظر: السمين الحلبي: مرجع سابق ١٠/٤٧٠.

(4) سورة نوح – من الآية : ٢.

في العمل ، وهو (نَذِير) بمعنى (مُنْذِر)[1]. ويُضْعِفُهُ أنَّ اسم الفاعل الموصوف لا يعمل إلا شاذًّا عند الجمهور ، وإنْ أجاز الكسائي إعماله مطلقًا[2] .

ووقت الفعل غير وقت الغفران ، وفاعل الدعوة نوح عليه السلام ، وفاعل الغفران الله ﷻ في قوله : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾[3]، وَاللامُ فِي (لِتَغْفِرَ) لامُ التَّعْلِيلِ ، والمراد : دَعَوْتُهُمْ للتَّوْحِيدِ فَهُوَ سَبَبُ الْمَغْفِرَةِ ، " وَجُعِلَتِ الدَّعْوَةُ مُعَلَّلَةً بِمَغْفِرَةِ اللهِ لَهُمْ ؛ لأَنَّهَا دَعْوَةٌ إِلَى سَبَبِ الْمَغْفِرَةِ ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ وَطَاعَةُ أَمْرِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ"[4] .

والمخاطبون وهم قوم نوح عليه السلام سبب جعل الله الجنات والأنهار ، لو استقاموا على الطريقة ، وأجابوا نوحًا عليه السلام إلى الاستغفار من الشرك في قوله ﷻ : ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾[5]، وهم سبب جعل الله الأرض بساطًا في قوله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾[6]، وليسوا مصدرًا ؛ ولذلك وجب الجر بحرف التعليل .

ووقت الإغراق غير وقت ارتكاب الخطيئات ، وفاعل الإغراق هو الله ﷻ، وفاعل الخطيئات هم قوم نوح عليه السلام في قوله : ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا

---

(1) ينظر: شهاب الدين الخفاجي: مرجع سابق٢٤٨/٨.

(2) ينظر: محمد بن عبد المنعم الجوجري: شرح شذور الذهب٦٨٧/٢، ٦٨٨.

(3) سورة نوح – من الآية : ٧.

(4) محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق١٩٦/٢٩.

(5) سورة نوح – من الآية : ١٢.

(6) سورة نوح – الآية : ١٩.

نَارًا ﴾[1] ، مع الأخذ في الاعتبار أنَّ الشرط الأول مفقود – أيضًا – فالخطيئات ليست مصدرًا .

ح – (**علاقة التمييز**) ، وهي العلاقة القائمة بين التمييز والمُمَيَّز في قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾[2] ؛ فقد جاء المُمَيَّز ، وهو العدد (سبع) منصوبًا على المفعولية خاليًا من التاء ؛ لأنَّ المعدود مؤنثٌ، وجاء التمييز الموضح لإبهام العدد جمعًا مجرورًا بالإضافة (سماواتٍ) على وفق ما تقتضيه ضوابط العربية في هذا الشأن .

ط – (**علاقة الوصفية**) ، وهي العلاقة القائمة بين الوصف والموصوف ، من حيث التضام واستدعاء كل منهما الآخر ، والاتفاق في التعريف والتنكير ، والإعراب ، والإفراد وغيره ، وقد جاء المركب الوصفي في السورة لإفادة التخصيص ، وكان مرفوعًا في قوله ﷻ : ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]، وقوله ﷻ : ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[4]، ومجرورًا في قوله ﷻ : ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[5]، ومنصوبًا في قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾[6]، وقوله ﷻ : ﴿ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا

---

(1) سورة نوح – من الآية : ٢٥.

(2) سورة نوح – الآية : ١٥.

(3) سورة نوح – من الآية : ١.

(4) سورة نوح – من الآية : ٢.

(5) سورة نوح – من الآية : ٤.

(6) سورة نوح – الآية : ١٥.

فِجَاجًا ﴾[1] أي : طُرُقًا واسعةً أو مختلفةً[2] ، وقوله ﷻ : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾[3]، وقوله ﷻ : ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[4] .

ويرى ابن مالك أنَّ قوله ﷻ : ﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ من باب التوكيد اللفظي ، وهو من أحسنه ؛ لأنَّهُ توكيد كلمة بما يوافقها معنًى دون لفظٍ ، فأكَّد السبل بالفجاج ، وهو أجود من التوكيد بإعادة اللفظ بعينه[5]، ففي اللغة " السَّبِيلُ : الطريق ، والجميع : السُّبُلُ ، والفَجُّ : الطريق ، والجميع : الفِجَاجُ "[6].

ي – (**علاقة البدلية**) ، وهي العلاقة القائمة بين البدل والمبدل منه . وقد جاءت في السورة الكريمة في قوله ﷻ : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[7]، فهذه الجملة من فعل القول ومقوله بَدَلٌ مِنْ جُمْلَةِ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾[8] " بَدَلَ اشْتِمَالٍ ؛ لأَنَّ

([1]) سورة نوح – الآية : ٢٠.

([2]) ينظر: أبو البركات النسفي: مرجع سابق٣/٥٤٥.

([3]) سورة نوح – الآية : ٢٢.

([4]) سورة نوح – من الآية : ٢٧.

([5]) ينظر: شرح التسهيل١/٢٣٠، ٢٣١.

([6]) علي بن الحسن الملقب بـ(كراع النمل): المنتخب من غريب كلام العرب ٤٠٩.

([7]) سورة نوح – الآيات : ٢١ – ٢٣.

([8]) سورة نوح – من الآية : ١.

حِكَايَةَ عِصْيَانِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ مِمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ حِكَايَةُ أَنَّهُ دَعَاهُمْ ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْمَقَالَتَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ، جَاءَ فِيهِ نُوحٌ إِلَى مُنَاجَاةِ رَبِّهِ بِالْجَوَابِ عَنْ أَمْرِهِ لَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1]، فَتَكُونُ إِعَادَةُ فِعْلِ (قَالَ) مِنْ قَبِيلِ ذِكْرِ عَامِلِ الْمُبْدَلِ مِنْهُ فِي الْبَدَلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾[2]؛ لِلرَّبْطِ بَيْنَ كَلامَيْهِ لِطُولِ الْفَصْلِ بَيْنَهُمَا .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْمَقَالَتَانِ فِي وَقْتَيْنِ ، جمعهما الْقُرْآنُ حِكَايَةً لِجَوَابَيْهِ لِرَبِّهِ ، فَتَكُونُ إِعَادَةُ فِعْلِ (قَالَ) لِمَا ذَكَرْنَا مَعَ الإِشَارَةِ إِلَى تَبَاعُدِ مَا بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ"[3] .

ك – (**علاقة التأكيد**) ، وهي العلاقة القائمة بين المؤكِّد والمؤكَّد . ونلفيها كثيرًا في السورة الكريمة بين (إنَّ) المؤكِّدة والجملة الاسمية المؤكَّدة ، و" تَصْدِيرُ كَلامِ نُوحٍ بِالتَّأْكِيدِ لإِرَادَةِ الاهتمام بالْخبر"[4] .

ونقف عليها بين الفعل والمفعول المطلق المؤكد للحدث الذي يدل عليه عامله ؛ لمنع تطرق الاحتمال إليه ، أو وقوع الشك فيه ، أو الإنكار له ، وذلك في المواطن الآتية :

---

(1) سورة نوح – الآية : ٥.

(2) سورة المائدة – من الآية : ١١٤.

(3) محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق٢٠٦/٢٩.

(4) محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق١٩٤/٢٩.

١- في قوله ﷻ : ﴿ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾[١] المفعول المطلق مؤكِّد لمعنى (اسْتَكْبَرُوا) الذي هو : اعتقدوا أنَّهم كبراء عن اتباع شرع الله ﷻ ، دالاً عَلَى تَمَكُّنِ الاسْتِكْبَارِ من هؤلاء القوم ، ورغبتهم الشديدة فيه .

٢- في قوله ﷻ : ﴿ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾[٢] المصدر مؤكِّد لمعنى (أَسْرَرْتُ) الذي هو : دعوتُ كلَّ واحدٍ منهم على انفراده ؛ ليكون أدعى له إلى قبول النصيحة ، ولمَّا كان تَحيُّن الإنسان ؛ ليكون منفردًا ليس عنده أحدٌ ، ولا هو مشتغلٌ بصارفٍ مما يعسر جدًّا ؛ فلا يكاد يصدق أكَّدَهُ بقوله : (إِسْرارًا)[٣] .

٣- في قوله ﷻ : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾[٤] أكَّد (أَنبَتَ) بالمصدر لما كان إنكارهم للبعث كأنَّهُ إنكارٌ للنشأة الأولى ، وأجرى المصدر على غير فعله بتجريده من الزيادة ؛ إشارةً إلى هوانه على الله ﷻ وسهولته[٥] .

٤- في قوله ﷻ : ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾[٦] أَكَّدَ (يُخْرِجُكُمْ) بالمصدر الجاري على الفعل (إِخْرَاجًا) ؛ إشارة إلى شدة العناية به وتحتيم وقوعه لإنكارهم له[٧].

---

(١) سورة نوح – من الآية : ٧.

(٢) سورة نوح – من الآية : ٩.

(٣) إبراهيم بن عمر البقاعي: مرجع سابق٢٠/٤٣٦.

(٤) سورة نوح – الآية : ١٧.

(٥) إبراهيم بن عمر البقاعي: مرجع سابق٢٠/٤٤٤.

(٦) سورة نوح – من الآية : ١٨.

(٧) إبراهيم بن عمر البقاعي: مرجع سابق٢٠/٤٤٥.

ونلحظها في أحرف المعاني الزائدة ؛ فإنَّ " زيادة الحرف في الكلام تفيد ما يفيده التوكيد اللفظي ، من الاعتناء به . قال ابن جني : كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى"[١] . ونجد ذلك في المواطن الآتية :

١- في قوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾[٢] (مِنْ) حرفٌ زَائِدٌ لِلتَّوْكِيدِ ، وَهَذَا مِنْ زِيَادَتِها فِي الإِيجَابِ جارَّةً المعرفة عَلَى رَأْيِ الأَخْفَشِ وَأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَابْنِ جِنِّي مِنَ الْبَصْرِيِّينَ وَجَمِيعِ نُحَاةِ الْكُوفَةِ ، وهذا مغنٍ عن تكرار الجملة مرتين للتوكيد اللفظي ، فكأنَّهُ قيل : (يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) ؛ فَيُفِيدُ الكلام أَنَّ الإِيمَانَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ فِي شَرِيعَةِ نُوحٍ مِثْلَ شَرِيعَتِنا الغراء[٣] .

واعتمد هذا الرأيَ ابنُ مالك اعتمادًا حين قال : " وأجاز أبو الحسن الأخفش وقوعها في الإيجاب وجرّها المعرفة . وبقوله أقول ؛ لثبوت السماع بذلك نظمًا ونثرًا"[٤] .

وعلى رأي سيبويه وموافقيه ليست زائدةً ؛ لأنَّ (مِنْ) الزائدة لا يكون المجرور بها إلا نكرةً بعد نفي أو نهي أو استفهام .

---

(١) المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني ٨٧.

(٢) سورة نوح – من الآية : ٤.

(٣) ينظر: ابن مالك: مرجع سابق١٣٩/٣، ومحمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق١٨٩/٢٩.

(٤) شرح التسهيل ١٣٨/٣.

وأبين الأقوال فيها حينئذٍ أنَّها دالة على التبعيض ، والمعنى : يَغْفِرْ لَكُمْ بَعْضَ ذُنُوبِكُمْ ، وهو المُوبق الكبير(الإشراك بالله) ؛ فَيَكُونُ الإيمَانُ فِي شريعة نُوحٍ عليه السلام لا يَقْتَضِي مَغْفِرَةَ جَمِيعِ الذُّنُوبِ السَّابِقَةِ . وقَرَّر ابن عطية أنَّ معنى التبعيض : مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ السَّابِقَةِ على الإسلام دُونَ مَا يُذْنِبُونَ مِنْ بَعْدُ ؛ لأنَّ الإسلام يجبّ ما قبله فقط ، وهو بعض ذنوبهم[1] .

٢- في قوله : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴾[2] (ما) زائدة للتوكيد ، وهي مغنية عن تكرار الجملة مرتين للتوكيد اللفظي ، فكأنَّهُ قيل : (مِنْ خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا مِنْ خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا) ، أي : من أجلها وبسببها .

وهي كذلك عند الفراء ؛ لأنَّ معنى هذا الكلام وما أشبهه عنده معنى الجزاء ، قال : " الْعَرَبُ تَجْعَلُ (مَا) صِلَةً فِيمَا ينوى بِهِ مَذْهَبَ الْجَزَاءِ ، كأنَّك قلت : (مِن خطيئاتهم ما أُغرقوا) . وكذلك رأيتُها فِي مصحف عَبْد الله ، فتأخرها دليل عَلَى مذهب الجزاء ، ومثلها فِي مصحف عَبْد الله : (أيَّ الأجلينَ مَا قضَيْت فَلا عُدْوَانَ عَلَيّ) . ألا ترى أنك تَقُولُ : حيثما تكن أكن ، ومهما تقل أقلْ "[3] .

(ل) – (**علاقة التقديم والتأخير**) : من مرونة قواعد لغتنا أنْ ليس من اللازم مراعاة الترتيب الأصلي للألفاظ في أكثر التراكيب والجمل ، بل يُجْنَح في بعض القول إلى التقديم والتأخير ، وهو " بابٌ كثيرُ الفوائد ،

---

(1) ينظر: المحرر الوجيز٥/٣٧٢، ومحمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق٢٩/١٨٩.

(2) سورة نوح – من الآية : ٢٥.

(3) معاني القرآن٢/١٩٠.

جَمُّ المَحاسن ، واسعُ التصرُّف ، بعيدُ الغاية ، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة"[١].

والغرض منه : العناية والاهتمام بالشيء المقدَّم مع الاحتفاظ بالرتبة غالبًا ، وقد قَرَّرَ سيبويه أنَّهُ " عربيٌّ جيِّد كثيرٌ ، كأنّهم إنَّما يُقدّمون الذي بيانُه أهمّ لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعًا يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم"[٢].

ومواضعه التي وقفت عليها في السورة الكريمة تتمثل فيما يأتي :

أ- تَقْدِيمُ الجار والمجرور (لَكُمْ) عَلَى عَامِلِهِ ، وَهُوَ (نَذِيرٌ) في قوله : ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[٣] ؛ لِلاهْتِمَامِ بِتَقْدِيمِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ اللامُ مِنْ كَوْنِ النِّذَارَةِ لِفَائِدَتِهِمْ ، لا لِفَائِدَتِهِ[٤] .

ب- ذَكَّرَ نوحٌ عليه السلام قومَهُ ببعض نعم الله ﷻ عليهم ، ومنها : أنْ جَعَلَ الله لهم الأرضَ بساطًا يتقلبونَ عليها تقلبَهُم على بُسُطِهم في بيوتِهم ، والملحوظ في قوله : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾[٥] توسيط سبب الجعل (لَكُم) بين الفعل المتعدي ومفعوليه " مع أنَّ حقَّهُ التأخيرُ ؛ لما مرَّ مرارًا من الاهتمامِ ببيانِ كونِ المجعولِ من منافعِهم ، والتشويق إلى المؤخرِ ؛ فإنَّ النفسَ عند تأخيرِ ما حقُّه التقديمُ لا سيَّما عند كونِ المقدَّمِ ملوِّحًا

---

(١) عبد القاهر الجرجاني: مرجع سابق ١٠٦.

(٢) الكتاب ٣٤/١.

(٣) سورة نوح – من الآية : ٢.

(٤) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق١٨٨/٢٩.

(٥) سورة نوح – الآية : ١٩.

بكونِهِ من المنافعِ – تبقَى مترقبةً له ؛ فيتمكن عندَ ورودِه لها فضل تمكُّنٍ"[1] .

ج- وتحتمل (منها) في قوله : ﴿ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾[2] أن تكون متعلقةً بالفعل قبلها ؛ لتضمنه معنى (لتتخذوا) ، وأن تكون متعلقةً بمحذوف وجوبًا ، حالٌ متقدمة على صاحبها ، وهو السبل ، أي : لتسلكوا [كائنةً] من الأرضِ سبلاً فجاجًا ، ولو تأخرت لكانت صفةً لهَا ، ولصار المعنى : لتسلكوا سبلاً فجاجًا من الأرضِ[3] .

د- و(من) جارة ؛ للتعليل ، و(ما) صلة تفيد التوكيد ، و(خطيئاتِهم) مجرورة بحرف التعليل في قوله : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾[4]، و" سبب تقديم الجار بيان أنَّهُ لم يكن إغراقهم بالطوفان فإدخالهم النار إلا من أجل خطاياهم ، وهي كفرهم المضموم إلى أنواع إيذاء رسول الله ﷺ في مدة ألف سنة إلا خمسين عامًا . وقد يستدل بفاء التعقيب لا سيما وقد دخل على ماض معطوف على مثله على إثبات عذاب القبر"[5] .

والآية بتمامها اعتراضٌ بين دعاء نوح عليه السلام ؛ للإيذانِ من أولِ الأمرِ بأنَّ ما أصابَهُم من الإغراق ودخول النار لم يُصبهُم إلا لأجلِ خطيئاتِهم التي عدَدَهَا نبيُّهم عليه السلام ، وأشارَ إلى استحقاقِهم للإهلاكِ لأجلِها ، وليست حكايةً

---

(1) أبو السعود العمادي: مرجع سابق٩/٣٩، ٤٠.

(2) سورة نوح – الآية : ٢٠.

(3) ينظر: أبو السعود العمادي: مرجع سابق٩/٤٠.

(4) سورة نوح – من الآية : ٢٥.

(5) نظام الدين النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان٦/٣٦٥.

لنفسِ الإغراق ودخول النار ، على طريقةِ حكاية مـــا جَـــرى بينَـــهُ عليه السلام وبينَهُم من أحوالٍ وأقوالٍ ، وإلا لأُخِّر عن حكايةِ دُعَائِهِ هَذا[1] .

*****

*

(1) ينظر: أبو السعود العمادي: مرجع سابق٩/٤١.

النوع الثاني: ربط أساسي بين الجمل في النصوص

ويتصل بملابسات المقام والتفاعل ، ومن أشكاله ما يأتي[1] :

أ – (**أن يتوسط حرف التفسير (أي أو أَنْ) بين الجملتين**) ، أو يستعمل المتكلم ألفاظًا تدل على التفسير ، كـ: عَنَى ، أراد ، أفاد ...

وقد جاءت (أن) المفسرة مرتين في السورة الكريمة ، وكان ما بعدها تفسيرًا لما قبلها وتفصيلاً له ، وهما :

قوله ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[2] ، وقوله ﷻ : ﴿ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[3].

ب – (**تفصيل المجمل**) ؛ فالآية الأولى من السورة ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[4] تناولت أحداثها ووقائعها مجملةً ؛ فقد جاء فيها الإرسال ، والإنذار ، وإتيان العذاب الأليم . وآيات السورة بعدها ما هي إلا تفسير لها ، وتفصيل لتلك الأحداث والوقائع كلها من بدايتها إلى نهايتها .

---

(1) ينظر: الأزهر الزناد: نسيج النص ٤٠، ٤١.

(2) سورة نوح – الآية : ١.

(3) سورة نوح – الآيتان : ٢ ، ٣.

(4) سورة نوح – الآية : ١.

والدعوة المستغرقة لجميع الزمن في قوله ﷻ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾[1] ما بعدها تفصيلٌ لأحداثها ، وبيانٌ لأساليبها ، وبسطٌ لطرقها ، وطرحٌ لأدلتها الصادقة ، وهو قوله ﷻ : ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾[2] .

والآلهة التي نهي قوم نوح بعضهم بعضًا عن ترك عبادتها في قوله : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ﴾[3] تشمل جميع أصنامهم ، ونهيهم الثاني ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[4] يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكونوا خصُّوا بالذكر أعظمها وأكابرها في الجملة التي عُطِفَت عليها بالواو ، وهي هذه الخمسة : وَدٌّ وما عُطِفَ عليه ، فَيَكُونُ ذِكْرُهَا مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ ؛ لِلاهْتِمَامِ بِهِ ، والتنبيه على فضله ،

---

(1) سورة نوح – الآية : ٥.

(2) سورة نوح – الآيات : ٦ – ٢٠.

(3) سورة نوح – من الآية : ٢٣.

(4) سورة نوح – من الآية : ٢٣.

كما في قوله ﷻ: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾[1]؛ فأفرد جبريل وميكائيل من الملائكة ، و" العرب تفعل ذلك ؛ فتذكر الشيء على العموم ، ثم تخصّ منه الأفضل فالأفضل ؛ فتقول : (جاء القومُ والرئيسُ والقاضي) . وفي القرآن : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[3]، وإنما أفرد الله الصلاة الوسطى من الصلاة ، وهي داخلة في جملتها ، وأفرد التمر والرمان من جملة الفاكهة ، وهما منها ؛ للاختصاص والتَّفضيل"[4].

وَالآخر : أَلا يَكُونَ لَهُمْ غَيْرُ تِلْكَ الأَصْنَامِ الْخَمْسَةِ ؛ فَيَكُونُ ذِكْرُهَا مُفَصَّلَةً بالأسماء بَعْدَ الإِجْمَالِ ؛ لِلاهْتِمَامِ بِهَا ، وَيَكُونُ الْعَطْفُ مِنْ قَبِيلِ عَطْفِ الْمُرَادِفِ[5] .

وقد صَرَفَ الأعلام الثلاثة (ودًّا ، وسُوَاعًا ، ونَسْرًا) ، ولم يصرف (يَغُوثَ، ويَعُوقَ) ؛ لأنَّ هذين العلمين على لفظ الأفعال المضارعة ،

---

(1) سورة البقرة – من الآية : ٩٨.

(2) سورة البقرة – من الآية : ٢٣٨.

(3) سورة الرحمن – الآية : ٦٨.

(4) أبو منصور الثعالبي: مرجع سابق ٢٢٣.

(5) ينظر: أبو حيان: مرجع سابق١٠/٢٨٥، ومحمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق٢٩/٢٠٩.

والأسماء الأعجمية الزائدة على ثلاثة أحرفٍ[1]، وما كان من هذا القبيل لا يُصْرَف .

ج - (**الامتثال بعد الطلب**) ؛ فالآية الأولى من السورة فيها الطلب ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] ، والآيات التي بعدها إلى نهاية السورة تناولت أمر نوح عليه السلام مع قومه ، وفيها امتثالٌ واستجابةٌ لهذا الطلب ، ونتيجةٌ ترتبت عليه .

د - (**ذكر الدليل للإقناع**) ، ويكثر في نصوص المناظرات والمحاورات والجدل ، وقد دَلَّلَ نوحٌ عليه السلام في دعوته قومه بالحكمة والموعظة الحسنة ليلاً ونهارًا ، جهارًا وإعلانًا وإسرارًا بآيات الله تعالى في الكون والحياة وفي أنفسهم بقوله : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾[3].

هـ- (**إيراد مضمون الرسالة بعد التنبيه بأسلوب النداء**) ؛ لغرض تهيئة المتلقين وإعدادهم لسماع ما يريده المتكلم منهم ، كما في قوله ﷻ:

---

(1) ينظر: محمد بن علي الكرجي القصاب: مرجع سابق٤/٤٢٢.

(2) سورة نوح – الآية : ١.

(3) سورة نوح – الآيات: ١٠ – ٢٠.

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾[1]، " فاستعطفهم بتذكيرهم أنَّهُ أحدهم يَهُمُّه ما يَهُمُّهم"[2]؛ أو لغرض التبرك والتلذذ في مقام مناجاة الخالق ﷻ مع إضافة المنادى إلى ياء المتكلم ، وفي ذلك تشريف للمتكلم . ونقف على ذلك فيما يأتي :

١ – ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴾[3].

٢ – ﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴾[4]، وقد أعيدَ لفظُ الحكايةِ في هذه الآية ؛ لطولِ العهدِ بحكايةِ مناجاتِهِ لربِّهِ . قال نوح : رَبِّ إِنَّهُمْ عصوني فيما أمرتُهُم بهِ ، واستمرُّوا على اتِّباعِ رؤسائِهِم الذينَ أبطرَتْهُم أموالُهُم وغرتْهُم أولادُهُم ، وصارَ ذلكَ سببًا لزيادةِ خسارِهِم في الآخرةِ ، فصَارُوا أسوةً لهم في الخسارِ[5] .

٣ – ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[6]، وهو معطوف بالواو على نظيرِهِ السابق .

٤ – ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾[7].

---

(1) سورة نوح – الآية : ٢.

(2) إبراهيم بن عمر البقاعي: مرجع سابق٢٠/٤٢٦.

(3) سورة نوح – الآية : ٥.

(4) سورة نوح – الآية : ٢١.

(5) ينظر: أبو السعود العمادي: مرجع سابق٩/٤٠.

(6) سورة نوح – الآية : ٢٦.

(7) سورة نوح – الآية : ٢٨.

و- (إيراد الجواب بعد الاستفهام المثار عن مضمون الكلام السابق)، ويتضح ذلك في المواطن الآتية من السورة الكريمة :

- قوله ﷻ : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾[1] اسْتِئْنَافٌ بَيَانِيٌّ ؛ لِكونه جوابًا عن سؤال يُثار في نفس المتلقي من مطلع السورة ، فكأنَّ السامع لها قال : مَاذَا فَعَلَ نُوحٌ عليه السلام حِينَ أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِ (أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ) ؟

فالآية " استئناف مبني على سؤالٍ نشأ من حكايةِ إرساله عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بالوجهِ المذكورِ ، كأنَّه قيلَ : ما فعلَ عليهِ الصَّلاة والسَّلام ؟ فقيلَ : قالَ لهُم : ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ منذرٌ موضحٌ لحقيقةِ الأمرِ"[2] .

- ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[3]، يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ تَعْلِيلاً لِلرَّبْطِ الَّذِي بَيْنَ الأَمْرِ وَجَزَائِهِ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾[4] ؛ لأَنَّ الرَّبْطَ بَيْنَ الأَمْرِ وَجَوَابِهِ يُعْطِي بِمَفْهُومِهِ مَعْنَى : إِنْ لا تَعْبُدُوا اللهَ وَلا تَتَّقُوهُ وَلا تُطِيعُونِي لا يَغْفِرْ لَكُمْ وَلا يُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، فَعُلِّلَ هَذَا الرَّبْطُ وَالتَّلازُمُ بَيْنَ هَذَا الشَّرْطِ الْمُقَدَّرِ وَبَيْنَ جَزَائِهِ بِجُمْلَةِ ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾[5]، أَيْ : إِنَّ الْوَقْتَ الَّذِي عَيَّنَهُ اللهُ لِحُلُولِ الْعَذَابِ بِكُمْ إِنْ لَمْ تَعْبُدُوهُ

---

(1) سورة نوح – الآية : ٢.

(2) ينظر: أبو السعود العمادي: مرجع سابق٣٦/٩.

(3) سورة نوح – من الآية : ٤.

(4) سورة نوح – الآيتان : ٣، ٤.

(5) سورة نوح – من الآية : ٤.

وَلَمْ تُطِيعُونِي إِذَا جَاءَ إِبَّانُهُ بِاسْتِمْرَارِكُمْ عَلَى الشِّرْكِ لا يَنْفَعُكُمُ الإِيمَانُ حينئذٍ .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ تَعْلِيلاً لكِلا الأَجَلَيْنِ : الأَجَل الْمُفَاد مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] ؛ فَإِنَّ لَفْظَ (قَبْلِ) يُؤْذِنُ بِأَنَّ الْعَذَابَ مُوقَّتٌ بِوَقْتٍ غَيْرِ بَعِيدٍ ، وَالأَجَل الْمَذْكُور بِقَوْلِهِ ﷻ : ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[2] ؛ فَيَكُونُ أَجَلُ اللهِ صَادِقًا عَلَى الأَجَلِ الْمُسَمَّى ، وَهُوَ أَجَلُ كُلِّ نَفْسٍ مِنَ الْقَوْمِ . وَإِضَافَتُهُ إِلَى اللهِ إِضَافَةُ كَشْفٍ ، أَيِ : الأَجَلُ الَّذِي عَيَّنَهُ اللهُ وَقَدَّرَهُ لِكُلِّ أَحَدٍ[3] .

- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾[4]، من الجائز أن تكون الجملةُ مُسْتَأْنَفَةً اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا ؛ لأَنَّ السَّامِعَ يَتَرَقَّبُ مَعْرِفَةَ إِجابة هذا السؤال : بِمَاذَا أَجَابَ قَوْمُ نُوحٍ دَعْوَتَهُ ؟ فَكَانَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ بَيَانُ مَا يَتَرَقَّبُهُ السَّامِعُ مَعَ زِيَادَةِ مُرَاجَعَةِ نُوحٍ رَبَّهُ ﷻ .

وَهَذَا خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي لازِمِ مَعْنَاهُ ، وَهُوَ الشِّكَايَةُ وَالتَّمْهِيدُ لِطَلَبِ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ ؛ لأَنَّ الْمُخَاطَبَ بِهِ عَالِمٌ بِمَدْلُولِ الْخَبَرِ[5]، وَذَلِكَ مَا سينتهي إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[6] .

---

(1) سورة نوح – من الآية : ١.

(2) سورة نوح – من الآية : ٤.

(3) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق٢٩/١٩٠، ١٩١.

(4) سورة نوح – الآيتان : ٥ ، ٦.

(5) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق٢٩/١٩٣.

(6) سورة نوح – الآية : ٢٦.

- ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾[1]، أمَرَهم بطلبِ الاستغفار لذنوبهم ، وأجاب عن ما يدور في أذهانهم من تساؤل (لماذا نستغفره؟) بِـأَنَّ اللهَ مَوْصُوفٌ بِالْغُفْرَانِ صِفَةً ثَابِتَةً تَعَهَّدَ اللهُ بِهَا لِعِبَادِهِ الْمُسْتَغْفِرِينَ ، وَأَفَادَ ثُبُوتَ الصِّفَةِ للهِ بِذِكْرِ الفِعْلِ (كَانَ) الدال هنا وفيما أشبهه من الشواهد على اتصاف الاسم بالخبر في الزمن الماضي مع الاستمرار في جميع الأزمنة ، وَأَفَادَ كَمَالَ غُفْرَانِهِ بِذكر صِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ (فَعَّال)[2] .

- ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾[3] كلام مستأنفٌ ، جاء جوابًا عن سؤال مثار في أنفس قومه بعد أمره عليه السلام لهم بالاستغفار ؛ لينالوا خيري الدنيا والآخرة ، فكأنَّ منهم من قال : هل بقي شيء من قولك ؟[4] .

- ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[5]، فتلك الجملة المؤكدة بـ(إنَّ) تَعْلِيلٌ لسؤالٍ مثارٍ من دعائه : أَلاَّ يَتْرُكَ اللهُ عَلَى الأَرْضِ أَحَدًا مِنَ الْكَافِرِينَ . وَخَبَرُ (إنَّ) هو مَجْمُوعُ الشَّرْطِ مَعَ جَوَابِهِ[6] .

ز - **التخصيص بعد العموم وعكسه** :من معهود كلام العرب " ذكر الخاص بعد العام ؛ للتنبيه على فضله ، حتى كأنَّهُ ليس من جنسه ؛

---

(1) سورة نوح – الآية : ١٠.

(2) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق١٩٧/٢٩.

(3) سورة نوح – الآية : ١٣.

(4) ينظر: إبراهيم بن عمر البقاعي: مرجع سابق٤٣٩/٢٠.

(5) سورة نوح – الآية : ٢٧.

(6) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق٢١٤/٢٩.

تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات "[1]، كما في قوله ﷻ : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[2]، فالروح هو جبريل عليه السلام ، وقد ذُكر مرتين ، مرة داخلاً في العام ، وهو الملائكة ، ومرة وحده ؛ للتنبيه على فضله والتأكيد على مزيته . " قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : إنَّمَا خَصَّ ذَلِكَ بِالذِّكْرِ ؛ لأَنَّ الْعَرَبَ تَذْكُرُ الأَشْيَاءَ مُجْمَلَةً ، ثُمَّ تَخُصُّ مِنْهَا شَيْئًا بِالتَّسْمِيَةِ؛ تَنْبِيهًا عَلَى فَضْلٍ فِيهِ "[3] .

ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[4]، فعطفوا جملة ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ على جملة ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ ، مع أنَّها داخلة في آلهتهم ومندرجة تحتها ؛ لأنَّ كانت أكبر أصنامهم وأعظمها ؛ فخصُّوها بالذكر للتنبيه على ذلك .

ويذكر العام بعد الخاص ؛ للتنبيه على فضل الخاص ، ولإفادة الشمول وتعميم الحكم ، كما في قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[5]، فذُكِرَت السبع المثاني قبل القرآن العظيم وهي داخلة فيه ، فكأنَّها ذُكِرَت مرتين ؛ وذلك للتنبيه على فضلها ، ومنه قوله ﷻ : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[6]، فخَصَّ نوح

([1]) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة٣/٢٠٠.

([2]) سورة القدر – الآية : ٤.

([3]) الفيومي: مرجع سابق(ف ك هـ).

([4]) سورة نوح – الآية : ٢٣.

([5]) سورة الحجر – الآية : ٨٧.

([6]) سورة نوح – من الآية : ٢٨.

عليه السلام نفسه بطلب المغفرة من ربّه ﷻ، وأتْبَعَ ذلك بطلب المغفرة لوالديه ، ثم أتبعه بطلب المغفرة لكلِّ مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ مُؤْمِنًا ، ثم عَمَّم الطلب فقال : ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾. والمؤمنون والمؤمنات لفظان عامّان ، يدخل فيهما من دعا لهم سابقًا ؛ والغرض من ذلك إفادة العموم مع العناية بالخاص ، وقد ذكر مرّتين : مرة وحده ، وأخرى داخلاً في العام[1].

ح - **تعانق المطلع والمختتم** : مما لا خفاء فيه أنَّ العلاقة وطيدة بين مطلع السورة الكريمة ومختتمها[2] ؛ فقد بُدئت بالوعيد بالعذاب الأليم ، وختمت به في قوله ﷻ : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾[3] .

ويضفي على النص ذي الحبك والانسجام حيوية وانطلاقًا ، ومرونةً واستيعابًا :

---

(1) ينظر: عبد الرحمن حبنكة: البلاغة العربية٢/٧٠.

(2) ينظر: جلال الدين السيوطي: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ٧٥.

(3) سورة نوح – الآية : ٢٥.

(تلوينُ الخطاب)

فيشتمل كل خطاب تواصلي على العناصر الآتية :

المُرْسِل أو المتكلم	المُرْسَل إليه أو المتلقي	السِّيَاق أو الموقف	الرسالة التي أراد المُرْسِل إيصالها إلى المُرْسَل إليه ، وهي ثمرة اجتماع العناصر السابقة ، وفيها تبرز الأدوات اللغوية التي تم انتقاؤها .

فالمرسل في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1] الله جل جلاله ، والمتلقي نوح عليه السلام ، والموقف : قوم نوح عليه السلام يعبدون الأصنام من دون الله ﷻ ، والرسالة : إنذار قومه قبل إتيان العذاب الأليم .

والمرسل في قوله ﷻ : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾[2] كبراء قوم نوح عليه السلام ورؤساؤهم ، والمتلقي عامتهم وضعفاؤهم ، والموقف : الخوف من الاستجابة لدعوة نوح عليه السلام المتكررة الملحة ، والرسالة : عدم ترك عبادة الأصنام .

وأطراف الخطاب في السورة الكريمة هم : الله ﷻ ، ونوح عليه السلام ، وقوم نوح عليه السلام .

---

(1) سورة نوح – الآية : ١.

(2) سورة نوح – الآية : ٢٣.

والملحوظ في خطاب نُوحٍ عليه السلام أنَّهُ غيَّرَ خِطَابَهُ مَعَ قَوْمِهِ ، فانتقل مِنْ خطاب النُّصْحِ وَالأَمْرِ الذي بدأ به دعوته : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] إِلَى خطاب التَّوْبِيخِ على عدم توقير الله تعالى مع وضوح آياته في خلقهم ، وفي الكون والحياة ، وفي أنفسهم من حيث المبتدأ والمنتهى بقوله : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾[2] .

ونَوَّعَ خطابه مع رَبِّهِ عز وجل ، فكان في بدايته خطاب إعلامٍ بامتثاله أمر الإنذار واجتهاده فيه ، وإعذارٍ لنفسه عند رَبِّه مع بيان موقف قومه من دعوته : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[3]، فانتقل منه إلى خطاب المناجاة لله عز وجل والدعاء مبينًا إصرار قومه على الكفر وتواصيهم به ؛ فاستوجبوا الدعاء

---

(1) سورة نوح – الآيات : ٢ – ٤.

(2) سورة نوح – الآيات : ١٣ – ٢٠.

(3) سورة نوح – الآيات : ٥ – ١٢.

عليهم بالهلاك ؛ فكانت نهاية أمرهم غرقًا في الدنيا وعذاب النار في الآخرة . وفي ختام خطابه لله ﷻ طلب المغفرة لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[1] .

* * * * *

(1) سورة نوح – الآيات : ٢١ – ٢٨.

الخاتمة

الحمد لله ﷻ على نعمة التمام ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، وبعد...

فدعوة نوح عليه السلام دعوةٌ عمرُها ألفُ سنةٍ إلا خمسين عامًا ، عمت الأوقات ليلاً ونهارًا ، وظهرت في جميع الأحوال جهارًا وإسرارًا وإعلانًا ، وتنوعت دلائلها ، وكثرت براهينها ، وجمعت بين الترهيب والترغيب ، وما آمن بها إلا قليل ، وكانت عاقبة المكذبين بها غرقًا في الدنيا ، وعذاب النار في الآخرة .

وإثر تناولي المعايير النصية في تلك السورة أقرر أهم النتائج على النحو الآتي :

أولاً -سبق علماء علوم القرآن الكريم النصيين جميعًا إلى بيان معايير نصية القرآن الكريم ، حين تناولوا أسباب النزول ، ومناسبة السور والآيات لما قبلها ، وأهداف السورة ومقاصدها ، وتكلموا عن الوسائل التي ساعدت على اتساق السور والآيات ، وعوامل الترابط فيها ، وأمارات الانسجام الدلالي والحبك ، فوقفوا على حقيقة النظام اللغوي المكوّن للسور الكريمة خير وقوف ، وكانوا أعمق نظرًا من النصيين ، وأقدر على خدمة النص المعجز ، والاقتراب من الدلالة المناسبة بمراعاة النظرة الكلية إلى النص .

ثانيًا – معايير نصية القرآن الكريم الأربعة التي جلاها البحث في سورة نوح عربية خالصة ، تخدم النص المعجز خير خدمة حين تلتمس في سوره الجليلة وآياته البينات بطريقة واعية هادفة ؛ إذ تكشف عن كثير من الأسرار اللغوية فيه وخصائص التعبير .

ثالثًا – انطلاق مظاهر التجديد من فهم التراث فهمًا جيِّدًا تؤتي ثمارها المنشودة إيتاءً ، من حيث الوفاء بحاجات النصوص ، والكشف عن مواطن الجمال ، وإبراز أوجه الجلال ، ونشر لطائف العبارات ودقائق الإشارات .

رابعًا – لمراعاة السياق والكشف عن ملابسات المقام دور عظيم في تحليل النصوص ، وتحديد دلالاتها ، والوقوف على غاياتها . وقد نبَّهَ علماءُ العربية منذ القدم على ذلك ، ومنهم سيبويه وابن جني .

خامسًا - تنوعت العلاقات الدلالية بين أجزاء النص ؛ فكان منها :

– التفصيل بعد الإجمال ، فكانت الآية الأولى إجمالاً ، وجاءت بقية السورة تفصيلاً لها .

– الامتثال بعد الطلب ؛ فكان الطلب في الآية الأولى ، وجاء ما بعدها من أمر نوح مع قومه امتثالاً له واستجابة .

– النتائج بعد المقدمات ؛ فالإرسال والإنذار وآيات الدعوة بأساليبها ودلائلها تكليف ومقدمات ، وآيات المغفرة والوعد بإكثار النسل والخير ، والدعاء بالهلاك على الكافرين نتائج وعواقب .

هذا ، والحمد لله رب العالمين الذي هداني لهذا ، وما كنتُ لأهتدي لولا أن هداني الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين عددَ قطر الأمطار ، وعددَ ماء البحار والأنهار ، وعددَ ما أظلمَ عليه الليل ، وأشرقَ عليه النهار .

*****

***

*

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(هود: ١).
- إبراهيم بن عمر البقاعي: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
- إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون (ت . ط)[1].
- أبو إسحاق الشاطبي: المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية، تح د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى- مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- أبو البركات النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح/ يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- أبو الحسن الأخفش: معاني القرآن، تح د/ هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
- أبو الحسن الماوردي: النكت والعيون، تح/ السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون (ت. ط).
- أبو الحسن الواحدي: التَّفْسِيرُ البَسِيط، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.
- أبو الحسن الوراق: علل النحو، تح د/ محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
- أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح/ رجب عثمان

[1] وحيث يذكر في حاشية البحث عقب اسمه (مرجع سابق)، فهذا المرجع هو المراد؛ لتكراره.

محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط فى التفسير، تح/ صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت١٤٢٠هـ[١].
- أبو زكريا الفراء: معاني القرآن، تح/ أحمد يوسف نجاتي وآخرين، دار السرور (بدون تاريخ).
- أبو السعادات هبة الله بن علي: أمالي ابن الشجري، تح د/ محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩١م.
- أبو السعود العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون (ت. ط).
- أبو العباس الفيومي: المصباح المنير، دار الفكر، بيروت، بدون (ت. ط).
- أبو الفداء: الكناش في فني النحو والصرف، تح د/ رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ٢٠٠٠م.
- أبو المظفر السمعاني: تفسير القرآن، تح/ ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
- أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تح/ عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
- ابن أبي الإصبع العدواني: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح د/ حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف – القاهرة، طبعة جديدة ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.

[١] وحيث يذكر في حاشية البحث عقب اسمه (مرجع سابق)، فهذا المرجع هو المراد؛ لتكراره.

- أحمد بن إبراهيم الغرناطي: البرهان في تناسب سور القرآن، تح/ محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- أحمد بن إسماعيل الكوراني: غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، تح/ محمد مصطفي كوكصو، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- أحمد حسين حيال: السبك النصي في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية في سورة الأنعام)، رسالة ماجستير بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، وزارة التعليم العالي، جمهورية العراق، ١٤٣٣هـ ٢٠١١م.
- أحمد بن الحسين بن الخباز: توجيه اللمع، تح د/ فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – مصر، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- أحمد عيد عبد الفتاح: السبك بين نحو الجملة ونحو النص، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد الثالث والثلاثون ٢٠١٥م.
- أحمد بن فارس القزويني: مقاييس اللغة، تح/ عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- أحمد بن محمد الأُبَّذِيّ الأندلسي: الحدود في علم النحو، تح/ نجاة حسن عبد الله نولي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢– السنة ٣٣ – ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
- أحمد بن محمد بن حنبل: المسند، تح/ شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

- أحمد بن محمد الميداني: مجمع الأمثال، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون (ت. ط).
- أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
- الأزهر الزَّنَّاد: نسيج النص (بحث فيما به يكون الملفوظ نصًّا)، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
- إسماعيل حقي: روح البيان، دار الفكر، بيروت، بدون (ت . ط).
- إسماعيل بن محمد الأصبهاني: إعراب القرآن، تقديم د/ فائزة بنت عمر المؤيد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- امرؤ القيس: ديوانه، اعتنى به/عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- بدر الدين بن الناظم: شرح ألفية ابن مالك، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
- برهان الدين بن قيم الجوزية: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، تح د/ محمد بن عوض بن محمد السهلي، أضواء السلف – الرياض، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.
- بشرى حمدي البستاني، ووسن عبد الغني المختار: في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم دراسة نظرية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ١١، العدد ١، سنة ٢٠١١م.
- بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح د/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

- جرير بن عطية: ديوانه، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- جلال الدين السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، بدون (ت. ط).
- جلال الدين السيوطي: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تح د/ محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب ، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.
- جلال الدين السيوطي: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، تح د/ عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى١٤٢٦هـ.
- جلال الدين القزويني المعروف بخطيب دمشق: الإيضاح في علوم البلاغة، تح د/محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.
- جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، تح/ عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف بمصر، بدون (ت . ط).
- ابن جني: الخصائص، تح/ محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون (ت. ط).
- حسن بن قاسم المرادي: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تح د/عبد الرحمن على سليمان، دار الفكر العربى بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- حسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تح د/ فخر

الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

- الحسين بن عبد الله الطيبي: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية على الكشاف)، تح د/جميل بني عطا، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

- خالد الأزهري: التصريح بمضمون التوضيح، تح/ محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تح الدكتورين/ مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون (ت. ط).

- رضي الدين الاستراباذي: شرح كافية ابن الحاجب، تح د/ يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بدون (ت. ط).

- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

- روبرت دي بوغراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د/ تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٨م.

- روبرت دي بوغراند، ولفغانغ دريسلر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة/ إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، مطبعة دار الكاتب، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح/محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

- زكريا الأنصاري: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تح د/ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
- زين الدين الرازي: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، تح د/عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ١٩٩١م.
- زين الدين الرازي: مختار الصحاح، تح/ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
- سعيد حسن بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ومكتبة لبنان، ناشرون.
- السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح د/أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
- سيبويه: الكتاب، تحقيق الشيخ/ عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٧م.
- شهاب الدين الخفاجي: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيْضَاوي، دار صادر، بيروت، بدون (ت . ط).
- شيخ زاده: محمد بن مصطفى القُوجَوي: شرح قواعد الإعراب لابن هشام، تح/إسماعيل إسماعيل مروة، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية أنموذجًا)، مجلة علوم اللغة، المجلد التاسع، العدد الثاني، ٢٠٠٦م.
- ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح د/أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة: البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
- عبد العزيز عتيق: علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، بدون (ت . ط).
- عبد الفتاح البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، بدون (ت. ط).
- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح/ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م.
- ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، تح/عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- علي بن الحسن الملقب بـ(كراع النمل): المنتخب من غريب كلام العرب، تح د/محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
- علي بن محمد الأشموني: منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بدون ت ط).

- علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- عمر محمد أبو خرمة: نحو النص (نقد النظرية وبناء أخرى)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة١٤٢٠هـ.
- محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تح/محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- محمد الأمين الخضري: من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
- محمد الأمين الخضري: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء وثم)، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م.
- محمد بن الحسن الأصبهاني: تفسير ابن فورك، تح/سهيمة بنت محمد سعيد، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
- محمد الخضري: حاشية على شرح ابن عقيل على الألفية، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي (بدون تاريخ).
- محمد خطابي: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، الطبعة الأولى ١٩٩١م، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير (تحرير

المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.

- محمد بن عبد الرحمن الإيجي: جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

- محمد بن عبد الله بن مالك: شرح التسهيل، تح د/عبد الرحمن السيد ومحمد بدوى المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

- محمد بن علي الصبان: حاشية الصبان على شرح الأشمونى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بدون ت. ط).

- محمد بن علي الكرجي القصاب: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، تح د/علي بن غازي التيجري، دار القيم ـ دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

- محمد بن عبد المنعم الجوجري: شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب، تح/نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٤م.

- محمد بن القاسم الأنباري: المذكر والمؤنث، تح د/محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف – القاهرة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

- محمود بوستة: الاتساق والانسجام في سورة الكهف، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ١٤٢٩/١٤٣٠هـ ٢٠٠٨/٢٠٠٩م.

- محمود بن حمزة الكرماني: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه

من الحجة والبيان، عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، بدون (ت . ط).

- محمود بن حمزة الكرماني: غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت، بدون (ت . ط).

- مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون– الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

- مكي بن أبي طالب القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، تح/ مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

- موفق الدين بن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة (بدون ت. ط).

- ناصر الدين البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

- ناظر الجيش: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تح د/علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م.

- نظام الدين النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح/زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

- يحيى بن حمزة العلوي: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجـــاز، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـــ.
- يوسف بن أبي سعيد السيرافي: شرح أبيات سيبويه، تح د/ محمد علـــي الريح هاشم ، مكتبة الكليات الأزهريـــة ، دار الفكـــر للطباعـــة والنشـــر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ١٣٩٤هـــ ١٩٧٤م.

*****

*